# الأمان الأول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾

راجعه

فضيلة الشيخ

**د . سليمان بن علي محمد الفيفي**

رئيس قسم الحسبة بجامعة أم القرى وعضو مجلس الشورى

تأليف

**عيسى بن سليمان الفيفي**

ح ، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
،
/ - الرياض، ١٤٣٩هـ.
ص:؛ سم: ١٧× ٢٤
ردمك: ٢- ٢٣- ٨٢١٩-٦٠٣-٩٧٨
١- ٢- أ. العنوان
ديوي: ٠٠٧، ٦٥٨ ١٠١٥٢/ ١٤٣٩

رقم الإبداع: ١٠١٥٢/ ١٤٣٩
ردمك: ٢- ٢٣- ٨٢١٩-٦٠٣-٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م**

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض
ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر والعرفان لفضيلة الشيخ الدكتور سليمان بن علي الفيفي.

رئيس قسم الحسبة بجامعة أم القرى وعضو مجلس الشورى على مراجعته المستمرة لهذا الكتاب «**الأمان الأول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» حيث أعطاني من وقته الكثير والكثير وقام بمراجعته مراجعة كاملة حتى خرج بهذه الصفة من إضافات وتعديلات وتصويبات ومقترحات رغم انشغاله وارتباطاته الكثيرة وفقه الله وسدده... وأثنى على البحث في رسالة أرسلها قال فيها: «وأسأل الله أن ينفع بهذا الجهد وأن يجعله من العلم الدائم نفعه الثابت أجره»... فله مني جزيل الشكر والتقدير وخالص الدعاء بالتوفيق... وأسأل الله أن ينفع بعلمه ويجزيه جزيل الثواب... وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم جازياً به خير الجزاء كاتبه ومراجعه وكل قارئ له... وبالله التوفيق.

## الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى المعلم الأول للبشرية ثم إلى والديّ الغاليين ثم إلى أساتذتي في جميع المراحل الدراسية ثم إلى إخواني وأشقائي وزملائي على مرّ السنين وإلى كل من أراد أن يطلع عليه ليستفيد منه.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم (وسبباً في مجاورتي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنات النعيم» وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

**الكاتب**

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

**تفسير هذه الآية:**

قال ابن كثير في تفسيره: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، فيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد قد! ويقولون: لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك».

ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان فيهم أمانان: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستغفار، فذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبقي الاستغفار».

فكان وجود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ظهرانيهم أمانًا لهم من العذاب، ومانعٌ يمنع وقوع العذاب فيهم إكرامًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان الله قادراً على إنزال العذاب بهم كما فعل بالأمم السابقة لما كذبوا رسله، وحل بهم العذاب والعقاب وأنبيائهم بينهم، ولكن جعل الله لهذه الأمة أمانان من

العذاب وهما: «الأمان الأول: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمان الثاني: الاستغفار» أما الأمان الأول فقد رفع بموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبقي الاستغفار لمن أراد الأمان من غضب الله تعالى وعذابه.

ولد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أسرة زاكية المعدن نبيلة النسب جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل وترفعت عما يشينهم من أوضار؛ كما قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن نفسه: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

**(الغزالي)**

## المقدمة

الحمد لله خالق الكون بما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، تقدست عن الأشباه ذاته، ودلت على وجوده آياته ومخلوقاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آخر الأنبياء في الدنيا عصراً، وأولهم وأرفعهم يوم القيامة شأناً وذكراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره، واتبع نهجه بإحسان إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فإن الإنسان لا يمكن أن يهيأ له مقام بعد أن يدرس كتاب الله جل وعلا أعظم من أن يدرس سيرة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ريب أن نبينا عليه الصلاة والسلام ختم الله به الرسالات، وأتمّ به جل وعلا النبوات، وبعثه بين يدي الساعة هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وأمر العباد بمحبته وطاعته، والتماس هديه، واقتفاء أثره صلوات الله وسلامه عليه، وعلى هذا فإنه يجب علينا أن نتعلم سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا أن نبز أقراننا، ونفوق إخواننا، ونترفع على من بين أيدينا، وإنما لنتأسى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونجعله بيننا وبين ربنا، فنقتفي أثره، ونلتمس سنته، ونتبع هديه، ذلكم الذي أمرنا الله جل وعلا به في المقام الأول، قال تباركت أسماؤه وجل ثناؤه في سورة الأحزاب: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد فطر الله جل وعلا كثيراً من خلقه على محبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد صعد أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فرجف الجبل فرحاً بصعوده، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»، وترك الجذع الذي كان يخطب عليه لما صنع له المنبر فحن الجذع إليه، فقام عليه الصلاة والسلام والتمس الجذع وضمه إليه، وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما بال قلوبكم لا تحن إليه».

وقد أعطاه الله من المزايا والعطايا ما لم يُعط أحدٌ من العالمين، أشار إلى القمر وأومأ إليه فانفلق بإذن الله تأييداً لرسالته، وأشار إلى السحاب فتفرق إكراماً لإشارته، وغير ذلك من معجزاته صلوات الله وسلامه عليه، هذا كله يدفع المؤمن وطالب العلم- في المقام الأول- إلى أن يكون عالماً فقيهاً مطلعاً على سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى يتأسى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويلتمس هديه، ويقتفي أثره، وكذلك يدعو الناس إلى هديه عليه الصلاة والسلام، فإن الله سد كل بابٍ موصلٍ إليه إلا ما كان عن طريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمقصود من هذا كله إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، والسعي قدر الإمكان في فهم سيرته العطرة، وأيامه النضرة، صلوات الله وسلامه عليه.

فقد وقع في يدي كتاب بعنوان «الأمان الثاني» عن الاستغفار؛ فراودتني نفسي بين التأييد مرة وأخرى محبطة لأكتب بحثاً عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

معنوناً له بهذا العنوان «**الأمان الأول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» إلتماساً من قوله الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمان الأول من العذاب.

وقد قمت بتقسيمه إلى بابين، ثم قمت بتقسيم كل باب إلى فصلين، ثم قمت بتقسيم كل فصل إلى مبحثين.

**الباب الأول هو: العهد المكي.**

**قمت بتقسيمه إلى فصلين هما:**

الفصل الأول: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل النبوة والرسالة.

الفصل الثاني: في ظلال النبوة والرسالة.

**وقمت بتقسيم الفصل الأول إلى مبحثين هما:**

المبحث الأول: نسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسرته ومولده ورضاعه.

المبحث الثاني: الأعمال التي مارسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة.

**وقمت بتقسيم الفصل الثاني إلى مبحثين هما:**

المبحث الأول: نزول الوحي وبدأ الدعوة.

المبحث الثاني: الهجرة من مكة وبيعتا العقبة.

**الباب الثاني هو: العهد المدني.**

**قمت بتقسيمه إلى فصلين هما:**

الفصل الأول: الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام.

الفصل الثاني: آخر عهده عليه الصلاة والسلام.

**ثم قمت بتقسيم الفصل الأول إلى مبحثين هما:**

المبحث الأول: هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وبناء المسجد النبوي.

المبحث الثاني: غزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاء اليهود من المدينة.

**ثم قمت بتقسيم الفصل الثاني إلى مبحثين هما:**

المبحث الأول: عام الوفود وحجة الوداع.

المبحث الثاني: آخر البعوث ومرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته.

وقد استعنت في إعداده بكتاب الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم ببعض كتب السيرة، وقد حاولت قد الإمكان تجنب التطويل الممل، والاختصار المخل، وقد بذلت فيه كثيراً من وقتي، وقصارى جهدي، كي أخرج منه بفائدة وافرة، وثمرة يانعة، فأنا والله المستفيد الأول منه، وكذلك ليستفيد منه من اطلع عليه من إخواني وزملائي، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وميزان حسنات من قرأه واطلع عليه، وكذلك من قام بطباعته ونشره، ولقد تيسر لي -ولله الحمد والمنة- إعداد هذا البحث وهذا العمل المتواضع، ولم تواجهني أي صعوبات، وذلك لكثرة المصادر والمراجع التي تتحدث عن سيرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واعتذر عما بدَر مني من إخلال أو تقصير، ولا أنسى أن أشكر الله تعالى جزيل الشكر أولاً الذي يسر ليّ إعداد هذا الكتاب، ثم لمن أعانني على إعداده من إخواني وزملائي، ولكل من له يدٍ في إعداده، ولا أنسى كل صاحب مصدرٍ أو مرجع استعنت به في إعداد هذا البحث.

أسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يرزقنا الاقتداء بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتأسي بسنته، واقتفاء أثره، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته، ويحشرنا في زمرته، ويجعله شفيعاً لنا يوم القيامة، وأن يوردنا حوضه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم المعاد.

# الباب الأول:
# العهد المكي

**ويشتمل على:**

**الفصل الأول: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الرسالة والنبوة**

**الفصل الثاني: في ظلال النبوة والرسالة**

## الفصل الأول:
## الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الرسالة والنبوة،

**ويشتمل على:**

**المبحث الأول: نسبه وأسرته ومولده ورضاعه.**

**المبحث الثاني: الأعمال التي مارسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة.**

## المبحث الأول:
## نسبه وأسرته ومولده ورضاعه

**نسبه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لنسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أجزاء: جزء اتفق على صحته أهل السير والأنساب، وهو إلى عدنان، وجزء اختلفوا فيه ما بين متوقف فيه وقائل به، وهو ما فوق عدنان إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجزء لا نشك أن فيه أموراً غير صحيحة، وهو ما فوق إبراهيم إلى آدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

**الجزء الأول**: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب – واسمه شيبة – ابن هاشم – واسمه عمرو – بن عبد مناف – واسمه المغيرة – بن قصي – واسمه زيد – بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر – وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة – ابن مالك بن النضر – واسمه قيس – ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة – واسمه عامر – ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

**الجزء الثاني**: ما فوق عدنان وعدنان هو ابن أد بن هميسع بن سلامان بن عوص ابن بوز بن قموال بن أبيّ بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ ابن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيض بن

ديشان بن عيصر بن أفناد ابن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

**الجزء الثالث**: ما فوق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ابن تارح - واسمه آزر - بن ناحور ابن ساروع - أو ساروغ - بن راعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ - يقال هو إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ - بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوشة بن شيث بن آدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[1].

وهذا النسب أشرف الأنساب، عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**»[2] وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[3].

---

(١) اختلفت المصادر في التلفظ ببعض هذه الأسماء، وكذلك سقط من بعض المصادر بعض الأسماء.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: المناقب عن رسول الله، باب: فضل النبي (الحديث: ٣٥٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب: المناقب عن رسول الله، باب: في فضل النبي (الحديث: ٣٥٣٨).

**أسـرته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تعرف أسرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف وهو الذي تولى السقاية والرفادة من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف مع بنو عبد الدار على اقتسام المناصب فيما بينهما، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وأول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف.

**والده:** هو عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وكان عبدالمطلب - واسمه شيبة - قد نذر بأنه إذا ولد له عشرة أولاد أن يذبح أحدهم تقربـًا إلى الله، فلما تحقق له ما أراد أقرع بين أبنائه، فوقعت على عبدالله، فمنع من ذبحه من قبل أخوال عبدالله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب وكبار رجالات قريش، حتى لا تجعل ديدنة يأخذ بها العرب، فذهب لكاهنة أو عرافة تسكن اليمن - وقيل بالقرب من يثرب - فأشارت عليه أن يرجع إلى مكة ويتوجه إلى هبل ويضرب القداح بن عبدالله وبين عشر من الإبل فإذا خرجت على عبدالله يزيد، حتى وصل عددها إلى المائة، حينئذٍ وقعت على الإبل فنحرها.

وقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أنا ابن الذبيحين**» يعني إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووالده عبدالله.

ذهب عبدالله إلى المدينة فتزوج من آمنة بن وهب الزهرية - وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبـًا وموضعـًا وشرفـًا - فبنى بها عبدالله

في مكة، وبعدها بقليل أرسله والده إلى المدينة ليشتري تمراً، فمات بها، وقيل: بل خرج تاجرا إلى الشام فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن في دار النابغة الجعدي، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل ولادة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل بعدها[1].

**والدته**: هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، تزوجها عبدالله بن عبدالمطلب بالمدينة، فحملت به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءت إلى مكة حيث ولدته بها، ومكثت بمكة من سنتين إلى أربع سنوات، ثم ذهبت إلى المدينة لزيارة أهلها، وفي طريق العودة توفيت في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة.

**مولده** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ أو ٥٧١هـ في عام الفيل، ولأربعين سنة خلت من حكم كسرى بمكة في المكان المعروف بسوق الليل، ونزل على يد الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف فهي قابلته رافعاً بصره إلى السماء واضعاً يده بالأرض، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك.

ولما ولدته أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلت إلى جده وكان يطوف بالبيت

---

(١) ذكر ابن حزم في جوامع السيرة «أن والده مات بمكة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستكمل سبع سنين».

تلك الليلة فجاء إليها قالت له: يا أبا الحارث ولد لك مولود عجيب، فذعر عبد المطلب وقال: أليس بشراً سويّا؟ فقالت: نعم، ولكن سقط ساجداً ثم رفع رأسه وأصبعيه إلى السماء، فأخرجته ونظر إليه، وأخذه.

ودخل به الكعبة، وعوذه ودعا له، ثم خرج ودفعه إليها، وهو الذي سماه محمداً، فقيل:

كيف سميت بهذا الاسم وليس لأحد من آبائك؟ فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم، وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة الفتح والابتهاج فإن قريش كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الأرض، وحملت الأشجار، وأتاهم الرغد في تلك السنة، ومن العجيب ما حدث عند ولادته ما روي من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وذلك إشارة إلى أنه لم يبق من ملوكهم المستبدين بالملك إلا أربعة عشر ملكًا، فهلك عشرة في أربع سنين، وهلك أربعة إلى زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيض بحيرة طبرية بفلسطين إشارة إلى أنه يحصل لأصحابها بأس شديد، وكذلك خمود نار فارس وكان على قيل لها ألف عام لم تخمد، ومن ذلك أيضًا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع، وينسب بعضهم ذلك إلى أنه حدث في ذلك الوقت زلزال عظيم.

وفي سابع يوم من ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ختنه وعق عنه جده بكبش.

**رضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورعايته:**

أول من أرضعته من المراضع - بعد أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له: مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ثم أرضعته بعدها امرأة من بني سعد بن بكر - وهي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية - وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة.

وكانت حليمة السعدية قد جاءت مع غيرها من المرضعات من بني سعد بالطائف إلى مكة لأخذ أبنائها حديثي الولادة، فوصلت متأخرة - كما حكت ذلك هي - عن صويحباتها نظراً لضعف مركبها، فلم تجد إلا هذا الطفل اليتيم (محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأخذته على كره كي لا ترجع من بين صويحباتها ولم تأخذ رضيعاً، فلما أخذته رجعت به إلى رحلها، وفي طريق عودتها إلى ديارها حصلت لها أمور منها:

١- سرعة مركوبها حتى أنها سبقت زميلاتها في الوصول إلى بني سعد.

٢- أن ثديها أصبح يدر الكثير من اللبن، فأرضعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك أخاه من الرضاع - عبدالله بن الحارث - حيث كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤثره على نفسه في كمية ومدة الرضاعة.

٣- غمامة كانت تظل ركبها.

٤- يحل بالمكان الذي تحل به الخصب والنماء.

٥- لما قدموا ديار بني سعد وكانت أرضهم مجدبة فكانت أغنامها تروح عليها شباعاً لبنا فيحلبون ويشربون وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع.

فما زالوا يتعرفون من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصاله، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفرا[١] فقدموا به على أمه وهم أحرص شيء على مكثه فيهم[٢] لما كانوا يرون من بركته فلم يزالوا بها حتى ردته معهم.

**شق صدره** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني سعد، حتى إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة[٣] من مولده وقع حادث شق صدره، روى مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست[٤] من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه[٥]،**

---

(١) جفراً: قوياً.

(٢) مكثه فيهم: بقاؤه معهم.

(٣) هذا ما ذهب إليه عامة أهل السير، ويقتضي سياق رواية ابن إسحاق أنه وقع في السنة الثالثة.

(٤) طست: أي إناء.

(٥) لأمه: أي ضمه.

**ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان إلى أمه يسعون فقالوا: إن محمد قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون»**[(١)].

فخافت عليه حليمة السعدية - بعد هذا الحادث - وكانت قد شملته بالرعاية والاهتمام به لمدة سنتين، وقيل أربع سنوات، ثم أرجعته إلى والدته، فعاش في كنفها سنتين وقيل أربع سنوات، فلما ماتت انتقلت رعايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جده عبدالمطلب الذي كان يؤثره على جميع أبنائه ويقول «**دعوا ابني، فوالله إن له لشانا**»[(٢)] ولما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سنوات توفي جده عبدالمطلب لتنتقل كفالته ورعايته إلى عمه أبي طالب، ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله، وكان يستسقي الغمام بوجهه.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم، باب الإسراء ١/ ٩٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٩٤.

## المبحث الثاني:
## الأعمال التي مارسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة

**الرعي**: لم يكن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات توالت: أنه كان يرعى الغنم، رعاها في بني سعد[١]، وفي مكة لأهلها على قراريط[٢]، وفي ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا**»[٣].

قيل من حكم ذلك أن راعي الغنم التي هي من أضعف البهائم تُسكن في قلبه الرأفة واللطف، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً.

**التجارة**: رافق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوافل قريش التجارية إلى الشام مرتين، فالمرة الأولى: كانت برفقة عمه أبي طالب، وفيها قابل بحيرا الراهب فعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفته، فأوصى عمه بالحرص عليه من اليهود، فقال وهو آخذاً بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه

---

(١) ابن هشام ١/ ١٦٦.

(٢) فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: يعكفون على أصنام لهم (الحديث: ٣٤٠٦).

الله رحمة للعالمين، فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام، خوفًا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة[1]، والمرة الثانية: وهو في الخامسة والعشرين من عمره، خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال ابن إسحاق[2]: كانت خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشي تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله

(١) ابن هشام ١/ ١٨٣،١٨٢،١٨١،١٨٠، ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالاً، وهو من الغلط الواضح، فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً، وإن كان موجوداً فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر، زاد المعاد ١/ ١٧، مختصر سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشيخ عبد الله النجدي ص١٦.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي بالولاء، المدني نزيل العراق، إمام المغازي صدوق يدلس ورمى بالتشيع والقدر. مات سنة ١٥٠هـ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

**زواجه من خديجة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشام ورأت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، رأت أنها وجدت ضالتها المنشودة، فتحدثت بما في نفسها لصديقتها نفيسة بنت منية، فذهبت نفيسة إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفاتحه أن يتزوج خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فرضي بذلك، وتحدث مع أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بكرة، وكان عمرها إذ ذاك أربعين عامًا، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا، وثروة، وعقلاً، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتزوج غيرها حتى ماتت[1].

وكل أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها سوى إبراهيم، ولدت له أولاً القاسم - وبه كان يكنى - ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبدالله، وكان عبدالله يلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته

(١) ابن هشام ١/ ١٨٩، ١٩٠.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد تأخرت بعده ستة أشهر، ثم لحقت به[١].

**حَرْبُ الفُجَّارْ**: وقعت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس وعشرون عامًا، وسميت بحرب الفجار؛ لانتهاك حرمات الحرم، والأشهر الحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ينبل على عمومته[٢]، وكان عمره آنذاك خمس عشرة سنة.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر الفجار فقال: «**قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن أفعل، وقال: كنت أنبل على أعمامي**»[٣].

**حلف الفضول**: على إثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتميم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان التيمي؛ لسنه وشرفه، فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه،

---

(١) ابن هشام ١/ ١٩٠، ١٩١.

(٢) ابن هشام ١/ ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، قلب جزيرة العرب ص٢٦٠.

(٣) أنبل على أعمامي أي: أي أجهز النبل للرمي وأناولهم إياه.

وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: «**لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت**»(١).

ويقال أن سبب تسميته بحلف الفضول لما اشتمل عليه من الفضائل، وكذلك وجود عدة رجال أسماؤهم مشتقة من الفضل.

**بناء الكعبة وقضية التحكيم**: لخمس وثلاثين سنة من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قامت قريش ببناء الكعبة؛ وذلك لأن الكعبة كانت رضما فوق القامة، ارتفاعها تسعة أذرع من عهد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يكن لها سقف، وقبل بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس سنين جرف مكة سيل عرم، انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الإنهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها، فجزأوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه واستمر النزاع واشتد حتى كاد أن يتحول إلى حرب الضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما

(١) ابن هشام ١/ ١١٣، ١٣٥، مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص٣٠، ٣١.

رأوه هتفوا هذا الأمين[١]، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر وسطه، ثم قال: «**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه**»[٢] ففعلوا ما أمرهم، حتى إذا وصل إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه، وهذا حل حصيف رضي به القوم.

❁ ❁ ❁

(١) لقد اشتهر بلقب الأمين في مكة، حيث كانت قريش تسميه بذلك، لوقاره وهديه، وصدق لهجته، وبعده عن الأدناس، حتى أنهم كانوا يحتفظون عنده بأموالهم، فلما أراد الهجرة إلى المدينة أمر علياً أن يقيم بالمنزل ليرده إلى أهلها.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٦٢٨).

# الفصل الثاني:

# في ظلال النبوة والرسالة

**ويشتمل على:**

**المبحث الأول: نزول الوحي وبدأ الدعوة.**

**المبحث الثاني: الهجرة من مكة وبيعتا العقبة.**

## المبحث الأول:
## نزول الوحي وبدأ الدعوة

**الوحي**: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلو[١] في حراء[٢] من كل سنة فيحنث فيه[٣] قبل أن ينزع[٤] إلى أهله، ويتزود[٥] لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني[٦] حتى بلغ مني الجهد[٧] ثم أرسلني[٨] فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١-٣]، فرجع بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) يخلو: يجلس وحده.

(٢) حراء: جبل بمكة المكرمة.

(٣) يحنث: يتعبد الليالي ذوات العدد.

(٤) ينزع: يعود.

(٥) يتزود: يأخذ زاداً وطعاماً ليأكله في خلوته.

(٦) غطني: ضمني.

(٧) بلغ مني الجهد: أصابني التعب الشديد، كما في رواية ابن إسحاق: حتى ظننت أنه الموت.

(٨) أرسلني: تركني.

يرجف فؤاده[١] فدخل على خديجة فقال: زملوني[٢] فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٣] فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[٤] وتكسب المعدوم[٥] وتقري الضيف[٦]، وتعين على نوائب الحق[٧].

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان امراً تنصر في الجاهلية، وكان شيخـًا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس[٨] الذي نزل الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يا ليتني فيها جذعـًا[٩] ليتني أكون حيـًا إذ

(١) يرجف فؤاده: يرجف قلبه من الخوف.

(٢) زملوني: غطوني.

(٣) الروع: الخوف.

(٤) الكل: الضعيف.

(٥) تكسب المعدوم: تعطي الفقير.

(٦) تقري الضيف: تقدم له الضيافة.

(٧) نوائب الحق: المصائب التي تنزل بالإنسان.

(٨) الناموس: الوحي.

(٩)جذعـًا: شابـًا.

يخرجك قومك، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني[١] يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي[٢].

**فتور الوحي**: فتر الوحي لمدة وجيزة، فشق ذلك على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد بقي في أيام الفترة كئيباً محزونا، تعتريه الحيرة والدهشة، فقد روى البخاري في كتاب التعبير ما نصه: «**وفتر الوحي فترة، حتى حزن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغنا حزناً عدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل؛ لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال: يامحمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فغذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك**»[٣].

كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحياناً متمثلاً في هيئة رجل من الصحابة وهو دحية الكلبي، وكان الوحي شديداً على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل، ومن شدته أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتصبب

---

(١) يدركني: أعيش إلى وقته.

(٢) البخاري ١/ ٣- ٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي ٢/ ٣٤.

عرقًا في اليوم الشديد البرودة، وكان رأسه على فخذ صحابي فرضت، وكذلك نزل عليه الوحي وهو فوق ناقته فبركت.

**بدأ الدعوة:** تلقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوامر عديدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧]، فقام بعدها، وظل قائمًا أكثر من عشرين عامًا! لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله.

آمنت به خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصدقت بما جاء به، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان في حجر[1] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أسلم زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول الله، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكانت الدعوة سرية لمدة ثلاث سنوات، وكانت بدايتها من شهر رمضان، وكانوا يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ وكانت داره على الصفا، وكانوا يؤدون العبادة خفية في منازلهم وخارج مكة، ثم بدأت الدعوة جهارا لما بلغ عددهم أربعين

(١) حجر: بيت.

رجلاً، وقيل بإسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعد أن أنزل الله قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكانت مدتها عشر سنوات، فلما جهروا بها عارضتهم قبائل قريش، ولما رأت قريش أن محمد لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك فكروا مرة أخرى، واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب تتلخص فيما يأتي:

١- السخرية، والتحقير، والإستهزاء، والتكذيب، والتضحيك، قصدوا تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون، ويصفونه بالسحر والكذب، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم وقالوا: هؤلاء جلسائه.

٢- تشويه تعاليمه، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته، كانوا يقولون: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾ [النحل: ١٠٣] وكانوا يقولون عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ ﴾ [الفرقان: ٧].

٣- معارضة القرآن بأساطير الأولين، وتشغيل الناس بها عنه.

٤- مساومات حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم فيه ويترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض ما هو عليه.

ولما لم تجدي هذه الأساليب عمدوا إلى طريق الاضطهادات والتعذيب وكادوا لهم المكائد، وعذبوهم، وتآمروا على قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخططوا لذلك، وتشاوروا ووضعوا الجوائز لمن يأتي به حيًا أو ميتًا، ولقد كان تعذيبهم لأجل اعتناقهم للدين الإسلامي، فواجهوا الكثير من صنوف الأذى والتنكيل، إلى أن اشترى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معظمهم، واعتقهم لوجه الله تعالى.

وممن كانوا يعذبون بمكة بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وأبوه ياسر وأمه سمية، وأم عبيس، وزنيرة النهدية، وبنتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، وجارية بني مؤمل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [1].

❁ ❁ ❁

(١) ابن هشام، السيرة، ج١ ص٣٣٩ – ٣٤٣.

## المبحث الثاني:
## الهجرة من مكة وبيعتا العقبة

**الهجرة من مكة:**

**الهجرة الأولى إلى الحبشة:** كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل تشتد يومًا فيومًا وشهرًا فشهرًا، حتى تفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة، وأخذوا يفكرون في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الظروف نزلت سورة الزمر تشير إلى اتخاذ سبيل الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد علم أن أَصْحَمَة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتن.

وفي سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الحبشة، كان مكونا من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهما: إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ[1].

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص ٩٢، ٩٣، زاد المعاد ١/ ٢٤، رحمة للعالمين ١/ ٦١.

فطنت لهم قريش فخرجت في آثارهم، لكن كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار[١].

**سجود المشركين مع المسلمين وعودة المهاجرين:** في رمضان من نفس السنة خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبراؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضًا، من قولهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي خلاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢]. ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين[٢].

---

(١) رحمة للعالمين ١/ ٦١، زاد المعاد ١/ ٢٤.

(٢) روى البخاري قصة السجود مختصرا عن ابن مسعود وابن عباس، انظر باب سجدة النجم وباب سجود المسلمين والمشركين ١/ ١٤٦، وباب ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من المشركين بمكة ١/ ٥٤٣.

وسَقَطَ في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لَوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفنائه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب، ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما كانوا يرددونه هم دائما من قولهم: «تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، جاءوا بهذا الإفك المبين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب، ويطيلون الدس والافتراء[1].

وبلغ هذا الخبر إلى مهاجري الحبشة، ولكن في صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية، بلغهم أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جلية الأمر، رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش[2].

ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرهم، فقد كان صعب على قريش ما بلغها عن النجاشي من

(١) تفهيم القرآن ٥/ ١٨٨، وإلى هذا التوجيه جنح المحققون في حديث الغرانقة.

(٢) نفس المصدر السابق ٥/ ١٨٨، زاد المعاد ١/ ٢٤، ٢/ ٤٤، وابن هشام ١/ ٣٦٤.

حسن الجوار، ولم ير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى .

**الهجرة الثانية إلى الحبشة:** واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى، وعلى نطاق أوسع، ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها، بيد أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن يدركوا.

وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا - إن كان فيهم عمار، فإنه يشك فيه - وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة[1].

**مكيدة قريش بمهاجري الحبشة:** عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جلدين لبيبين، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة - قبل أن يسلما - وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدما له الهدايا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضَوَى[2] إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه[3]، لا

(١) انظر زاد المعاد ١/ ٢٤، رحمة للعالمين ١/ ٦١.

(٢) ضوى: لجأ.

(٣) ابتدعوه: جاءوا به من عندهم.

نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه .

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم .

ولكن رأى النجاشي أنه لابد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعًا، فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان، فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع[1] ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم[2] والدماء، ونهانا عن

(١) نخلع: نترك.

(٢) الكف عن المحارم: الامتناع عنها.

الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاءك عن الله شيء؟

قال جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من سورة مريم، فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته[١]، وبكت أساقفته[٢] حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا الذي جاء به عيسى عن مشكاة واحدة[٣]، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما.

**الشدة في التعذيب ومحاولة القضاء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ولما أخفق المشركون في مكيدتهم، وفشلوا في استرداد المهاجرين استشاطوا

(١) اخضلت لحيته: ابتلت بالدمع.

(٢) أساقفته: الرهبان من النصارى ورجال دينه.

(٣) من مشكاة واحدة: من مصدر واحد، ونور إلهي واحد.

غضبًا، وكادوا يتفجرون غيظًا، فاشتدت ضراوتهم وانقضوا على بقية المسلمين، ومدوا أيديهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسوء، وظهرت منهم تصرفات تدل على أنهم أرادوا القضاء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستأصلوا جذور الفتنة التي أقضت مضاجعهم، حسب زعمهم.

أما بالنسبة للمسلمين فإن الباقين منهم في مكة كانوا قليلين جدًا، وكانوا إما ذوي شرف ومنعة، أو محتمين بجوار أحد، ومع ذلك كانوا يخفون إسلامهم ويبتعدون عن أعين الطغاة بقدر الإمكان، ولكنهم مع هذه الحيطة والحذر لم يسلموا كل السلامة من الأذى والظلم والجور.

وجهرًا لا يمنعه عن ذلك مانع، ولا يصرفه عنه شيء؛ إذ كان ذلك من جملة تبليغ رسالة الله منذ أمره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤] وبذلك كان يمكن للمشركين أن يتعرضوا له إذا أرادوا، ولم يكن في الظاهر ما يحول بينهم وبين ما يريدون إلا ما كان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحشمة والوقار، وما كان لأبي طالب من الذمة والاحترام، وما كانوا يخافونه من مغبة سوء تصرفاتهم، ومن اجتماع بني هاشم عليهم، إلا أن كل ذلك لم يعد له أثره المطلوب في نفوسهم؛ إذ بدءوا يستخفون به منذ شعروا بانهيار كيانهم الوثني وزعامتهم الدينية أمام دعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما روت لنا كتب السنة والسيرة من الأحداث التي تشهد القرائن بأنها

وقعت في هذه الفترة: أن عتيبة بن أبي لهب أتى يومًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنا أكفر بـ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١] وبالذي ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذ دعا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**»، وقد استجيب دعاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خرج عتيبة إثر ذلك في نفر من قريش، فلما نزلوا بالزرقاء من الشام طاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أخي هو والله آكلي كما دعا محمد عليّ، قتلني وهو بمكة، وأنا بالشام، ثم جعلوه بينهم، وناموا من حوله، ولكن جاء الأسد وتخطاهم إليه، وأخذ برأسه فذبحه[١].

**عام الحزن:**

**وفاة أبي طالب**: ألح المرض بأبي طالب، فلم يلبث أن وافته المنية، وكانت وفاته في رجب[٢] سنة عشر من النبوة، بعد الخروج من

(١) تفهيم القرآن ٦ / ٥٢٢، من الإستيعاب، والإصابة، ودلائل النبوة، والروض الأنف، ومختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص١٣٥.

(٢) تاريخ إسلام للشاه أكبر خان النجيب آبادي١/ ١٢٠، وفي المصادر اختلاف كبير في الشهر الذي توفي فيه أبو طالب، وهذا الذي رجحناه إنما رجحناه لأن أكثر المصادر متفقة على أن موته كان بعد ستة أشهر من الخروج من الشعب، وأن الحصار كان ثلاثة أعوام، وأن بدء الحصار كان ليلة هلال المحرم سنة سبع، وإذن فموته في رجب سنة عشر من النبوة. مختصر السيرة للشيخ عبدالله النجدي ص١١١.

الشعب بستة أشهر وقيل : توفي في رمضان قبل وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بثلاثة أيام .

**وفي الصحيح عن المسيب** : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أبو جهل، فقال: «**أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لاستغفرن لك ما لم أنه عنه**» فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

ولا حاجة إلى بيان ما كان عليه أبو طالب من الحياطة والمنع، فقد كان الحصن الذي

احتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، ولكنه بقى على ملة الأشياخ من أجداده، فلم يفلح كل الفلاح.

ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب ، قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضَحْضَاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[1].

(١) صحيح البخاري، باب قصة أبي طالب ١/ ٥٤٨.

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذكر عنده عمه - فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه»[(١)].

**خديجة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **إلى رحمة الله**: وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة - على اختلاف القولين - توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ ذاك في الخمسين من عمره[(٢)].

إن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت من نعم الله الجليلة على رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقيت معه ربع قرن تحن عليه ساعة قلقه، وتؤازره في أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بنفسها ومالها، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرم ولد غيرها**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) نص على موتها في رمضان من تلك السنة ابن الجوزي في التلقيح ص٧، والعلامة المنصور فوري في رحمة للعالمين ٢/ ١٦٤، وغيرها.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١١٨.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ[1].

**تراكم الأحزان**: وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة، فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فقد كانوا تجرأوا عليه وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غمًا على غم، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرًا، بل آذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه .

وكما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتدت على أصحابه حتى التجأ رفيقه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الهجرة عن مكة، فخرج حتى بلغ بَرْك الغِمَاد، يريد الحبشة، فأرجعه ابن الدُّغُنَّة في جواره[2].

قال ابن إسحاق: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله

---

(١) صحيح البخاري، باب تزويج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها ١/ ٥٣٩.

(٢) القصة بطولها مروية في ابن هشام ١/ ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، وفي صحيح البخاري ١/ ٥٥٢، ٥٥٣.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا، ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكى، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لها: «**لا تبكى يا بنية، فإن الله مانع أباك**»، قال: ويقول بين ذلك: «**ما نالت منى قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب**»[(١)].

ولأجل توالى مثل هذه الآلام في هذا العام؛ سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعام الحزن، وبهذا اللقب صار معروفًا في التاريخ.

**زواجه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بسودة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وفي شوال من هذه السنة - سنة ١٠ من النبوة - تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سودة بنت زمعة، كانت ممن أسلم قديمًا، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو، وكان قد أسلم وهاجر معها، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت خطبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتزوجها، وكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة، وكانت قد وهبت نوبتها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخيرًا[(٢)].

**ست نسمات طيبة من أهل يثرب**: في موسم الحج من سنة ١١ من النبوة وجدت الدعوة الإسلامية بذورًا صالحة، سرعان ما تحولت إلى

---

(١) ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٢) رحمة للعالمين ٢/ ١٦٥، تلقيح فهوم أهل الأثر ص١٠.

شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة عن لفحات الظلم والطغيان طيلة أعوام .

وكان من حكمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين[١].

فخرج ليلة ومعه أبو بكر وعلي، فمر على منازل ذُهْل وشيبان بن ثعلبة، وكلمهم في الإسلام، وقد دارت بين أبي بكر وبين رجل من ذهل أسئلة وردود طريفة، وأجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، غير أنهم توقفوا في قبول الإسلام[٢].

ثم مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون[٣] فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب كلهم من الخزرج، وهم :

١ - أسعد بن زُرَارة (من بني النجار) .

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة، ابن عَفْراء (من بني النجار).

٣ - رافع بن مالك بن العَجْلان (من بني زُرَيْق) .

---

(١) تاريخ اسلام للنجيب آبادي ١/ ١٢٩.

(٢) انظر مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

(٣) رحمة للعالمين ١/ ٨٤.

٤ - قُطْبَة بن عامر بن حديدة (من بني سلمة) .

٥ - عُقْبَة بن عامر بن نابى (من بني حَرَام بن كعل) .

٦ - جابر بن عبد الله بن رِئاب (من بني عبيد بن غَنْم) .

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة، إذا كان بينهم شيء، أن نبيًا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج، فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم[1].

فلما لحقهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: من موالى اليهود؟ أي حلفائهم، قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته، وأسلموا.

وكانوا من عقلاء يثرب، أنهكتهم الحرب الأهلية التي مضت قريبًا، والتي لا يزال لهيبها مستعرًا، فأملوا أن تكون دعوته سببًا لوضع الحرب، فقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز

(١) زاد المعاد ٢/ ٥٠، وابن هشام ١/ ٤٢٩، ٥٤١.

منك، فلما رجعوا الى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

**الإسراء والمعراج:**

بينما الدعوة تشق طريقًا بين النجاح والاضطهاد، وبدأت نجوم الأمل تلمح في آفاق بعيدة، وقع حادث الإسراء والمعراج.

وروى أئمة الحديث تفاصيل هذه الوقعة، وفيما يلي نوردها بإيجاز:

قال ابن القيم: «أسري[٢] برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البُرَاق، صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأي هنالك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأي فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به، وأقرّا بنبوته.

---

(١) نفس المصدر ١/ ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) أسري: ذهب به في الليل.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأي فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأي فيها إدريس، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأي فيها هارون بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته .

ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته .

فلما جاوزه بكى موسى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي، لأن غلاماً بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور.

ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال له: بم أمرك؟ قال: بخمسين صلاة، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه: أن نعم، إن شئت، فعلا به

جبريل حتى أتى به على الجبار تبارك وتعالى، وهو في مكانه - هذا لفظ البخاري في بعض الطرق - فوضع عنه عشرا، ثم أنزل حتى مر على موسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي، ولكني أرضى وأسلم، فلما بعد ناد مناد: قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»[(١)] انتهى.

**بيعتا العقبة[(٢)]:**

**بيعة العقبة الأولى**: قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، ووعدوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبلاغ رسالته في قومهم، وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي - موسم الحج سنة ١٢ من النبوة - اثنا عشر رجلا، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العام السابق - والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رِئاب - وسبعة سواهم، وهم:

١ - معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار (من الخزرج).

٢ - ذَكْوَان بن عبد القيس من بني زُرَيْق. (من الخزرج).

٣ - عبادة بن الصامت من بني غَنْم (من الخزرج).

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٢) العقبة: قرب رمي جمرة العقبة الكبرى التي يرميها الحجاج.

٤ - يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم (من الخزرج).

٥ - العباس بن عُبَادة بن نَضْلَة من بني سالم (من الخزرج).

٦ - أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهَان من بني عبد الأشهل (من الأوس).

٧ - عُوَيْم بن ساعدة من بني عمرو بن عَوْف (من الأوس).

الأخيران من الأوس، والبقية كلهم من الخزرج[١].

التقى هؤلاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند العقبة بمنى فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت عند فتح مكة .

روى البخاري عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، قال: فبايعته - وفي نسخة: فبايعناه - على ذلك**»[٢].

**سفير الإسلام في المدينة**: بعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي

---

(١) ابن هشام ١ / ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، الرحيق المختوم ١٤٣.

(٢) صحيح البخاري، باب حلاوة الإيمان ١/ ٧، باب وفود الأنصار ١/ ٥٥٠، ٥٥١، وباب قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ ٢/ ٧٢٧، باب الحدود كفارة ٢/ ٣. ١٠.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابًا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مُصْعَب بن عُمَيْر العبدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

**بيعة العقبة الثانية:**

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة، حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم : حتى متى نترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل[2].

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخي الذي حول مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام.

يقول كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجنا إلى الحج، وواعدنا

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ١٤٤.

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري ١٤٧.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبًا[1].

قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتسلل تسلل القَطَا[2]، مستخفين[3]، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، وامرأتان من نسائنا؛ نُسَيْبَة بنت كعب - أم عُمَارة - من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو - أم منيع - من بني سلمة .

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جاءنا، ومعه عمه: العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب

(١) نقيبًا: رئيسًا وسيداً.

(٢) القطا: طائر مشهور بخفة حركته.

(٣) مستخفين: متخفين لا يعرف بنا أحد.

أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له وكان أول متكلم[١].

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم ليشرح لهم - بكل صراحة - خطورة المسئولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف.

قال: يا معشر الخزرج - وكان العرب يسمون الأنصار خزرجا، خزرجها وأوسها كليهما - إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده .

وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم[٢] واللحاق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوه وخاذلوه بعد الخروج به الله، فمن الآن فدعوه[٣]. فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت[٤].

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٢) الانحياز إليكم: الذهاب إليكم.

(٣) دعوه: اتركوه.

(٤) ابن هشام ١/ ٤٤١، ٤٤٢.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم صميم، وشجاعة مؤمنة، وإخلاص كامل في تحمل هذه المسئولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة.

وألقى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة .

وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولا، ما صافح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة أجنبية قط[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر صحيح مسلم، باب كيفية بيعة النساء ٢/ ١٣١.

## الباب الثاني:

## العهد المدني،

**ويشتمل على:**

الفصل الأول: الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام.

الفصل الثاني: آخر عهده عليه الصلاة والسلام.

### الفصل الأول:

### الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام،

**ويشتمل على:**

المبحث الأول: هجرته إلى المدينة وبناء المسجد النبوي.

المبحث الثاني: غزواته وإجلاء اليهود من المدينة.

## المبحث الأول:
## هجرته إلى المدينة وبناء المسجد النبوي

### هجرته إلى المدينة:

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة - وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته - أذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن.

ولم يكن معنى الهجرة إلا إهدار المصالح، والتضحية بالأموال، والنجاة بالشخص فحسب، مع الإشعار بأنه مستباح منهوب قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدرى ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان.

وبدأ المسلمون يهاجرون وهم يعرفون كل ذلك، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم؛ لما كانوا يحسون به من الخطر، وهاك نماذج من ذلك:

١ - كان من أول المهاجرين أبو سلمة - هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة على ما قاله ابن إسحاق - وزوجته وابنه، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فأخذوا منه زوجته، وغضب آل أبي سلمة لرجلهم،

فقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا الغلام بينهم فخلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة.

وكانت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا و بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداة بالأبطح تبكى حتى تمسى، ومضى على ذلك نحو سنة، فرق لها أحد ذويها وقال: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت، فاسترجعت ابنها من عصبته، وخرجت تريد المدينة - رحلة تبلغ حوالي خمسمائة كيلو متر تمر بين شواهق الجبال ومهالك الأودية - وليس معها أحد من خلق الله . حتى إذا كانت بالتَّنْعِيم لقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وبعد أن عرف حالها شيعها حتى أقدمها إلى المدينة، فلما نظر إلى قباء، قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة[1].

٢- وهاجر صُهَيْب بن سِنان الرومي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فأني قد جعلت لكم مالي، فبلغ

(١) ابن هشام ١/ ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠.

ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ربح صهيب، ربح صهيب[١].

٣- وتواعد عمر بن الخطاب، وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل موضعًا اسمه التَّنَاضُب فوق سَرِف يصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش، وحبس عنهما هشام .

روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين - وهما الحرتان - فهاجر من هاجر من المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبوبكر قبل المدينة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال له أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحبس أبوبكر نفسه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - لأربعة أشهر[٢].

ثم نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوحي من ربه تبارك وتعالى فأخبره أن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة، قائلاً له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه[٣].

وذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهاجرة - حين يستريح الناس في بيوتهم -

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٧٧.

(٢) صحيح البخاري، باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ١/ ٥٥٣.

(٣) ابن هشام ١/ ٤٨٢، زاد المعاد ٢/ ٥٢.

إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبرم معه مراحل الهجرة، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: أخرج مَنْ عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله ، قال: فأني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم[1].

ثم أبرم معه خطة الهجرة، ورجع إلى بيته ينتظر مجيء الليل.

**تطويق منزل الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أما أكابر مجرمي قريش فقضوا نهارهم في الإعداد سرا لتنفيذ الخطة المرسومة التي أبرمها برلمان مكة (دار الندوة) صباحًا، واختير لذلك أحد عشر رئيسًا من هؤلاء الأكابر، وهم :

أبو جهل بن هشام، والحَكَم بن أبي العاص، وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط، والنَّضْر بن الحارث، وأُمية بن خَلَف، وزَمْعَة بن الأسود، وطُعَيْمة بن عَدِيّ، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونُبَيْه بن الحجاج، وأخوه مُنَبِّه بن الحجاج[2].

---

(١) صحيح البخاري، باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ١/ ٥٥٣.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٥٢، الرحيق المختوم ١٦٢.

وكان من عادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء، ويخرج بعد نصف الليل إلى المسجد الحرام، يصلي فيه قيام الليل.

فأمر عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك الليلة أن يضطجع على فراشه، ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر، وأخبره أنه لا يصيبه مكروه.

فلما كانت عتمة من الليل وساد الهدوء، ونام عامة الناس جاء المذكورون إلى بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرًا، واجتمعوا على بابه يرصدونه، وهم يظنونه نائمًا حتى إذا قام وخرج وثبوا عليه، ونفذوا ما قرروا فيه

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل في وقت خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البيت، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر، ولكن الله غالب على أمره، بيده ملكوت السموات والأرض، يفعل ما يشاء، وهو يجير ولا يجار عليه، فقد فعل ما خاطب به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بعد: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد فشلت قريش في خطتهم فشلا ذريعًا مع غاية التيقظ والتنبه؛ إذ خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البيت، واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رءوسهم، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ

فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس: ٩]، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ومضى إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة[١] في دار أبي بكر ليلا حتى لحقا بغار ثَوْر في اتجاه اليمن[٢].

وبقى المحاصرون ينتظرون حلول ساعة الصفر، وقبيل حلولها تجلت لهم الخيبة والفشل، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم، ورآهم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا. قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم، وذر على رءوسكم التراب، وانطلق لحاجته، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم.

ولكنهم تطلعوا من صير الباب فرأوا عليًا، فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائمًا، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. وقام عليّ عن الفراش، فسقط في أيديهم، وسألوه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا علم لي به[٣].

**من الدار إلى الغار:**

غادر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيته في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأتى إلى دار رفيقه - وأمنّ الناس عليه في صحبته وماله - أبي

(١) خوخة: فتحة لا باب لها.

(٢) ابن هشام ١/ ٤٨٣، زاد المعاد ٢/ ٥٢.

(٣) ابن هشام ١/ ٤٨٣، زاد المعاد ٢/ ٥٢.

بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثم غادر منزل الأخير من باب خلفي؛ ليخرجا من مكة على عجل وقبل أن يطلع الفجر[١].

ولما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أن قريشًا سَتَجِدُّ في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالا، فسلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثَوْر وهو جبل شامخ، وَعِر الطريق، صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل: بل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه، وأيا ما كان فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل، وطفق يشتد به حتى انتهي به إلى غار في قمة الجبل عرف في التاريخ بغار ثور[٢].

**في الطريق إلى المدينة:**

كانا قد استأجرا عبد الله بن أُرَيْقِط الليثي، وكان هاديًا خِرِّيتًا - ماهرًا بالطريق - وكان على دين كفار قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثَوْر بعد ثلاث ليال براحلتيهما، فلما كانت ليلة الاثنين، غرة ربيع الأول سنة ١هـ، جاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، وكان قد قال

(١) الرحيق المختوم ١٦٣.

(٢) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص١٦٧.

أبو بكر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مشاورته في البيت : بأبي أنت يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليه أفضلهما، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالثمن. وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسُفْرَتِهما، ونسيت أن تجعل لها عِصَامًا[1]، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فشقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر فسميت: ذات النطاقين[2].

ثم ارتحل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وارتحل معهما عامر بن فُهَيْرة، وأخذ بهم الدليل – عبدالله بن أريقط – على طريق السواحل.

وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، اتجه شمالا على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرًا.

وفي يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة – وهي السنة الأولى من الهجرة – نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء[3].

---

(١) عصاماً: رباطًا.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٥٣، ٥٥٥ وابن هشام ١/ ٤٨٦.

(٣) رحمة للعالمين ١/ ١٠٢، وفي هذا اليوم تم عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وخمسين عاماً كاملاً لا وكس ولا شطط، وتم على نبوته ثلاثة عشر عاماً كاملاً عند من يقول: إنه أكرم بالنبوة في ٩ ربيع الأول في سنة ٤١ من عام الفيل، وأما من يقول: إنه أكرم بالنبوة =

قال عروة بن الزبير: سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحَرَّة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أَوْفي رجل من يهود على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه مُبَيَّضِين يزول بهم السراب

فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معاشر العرب، هذا جدكم[1] الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح .

قال ابن القيم: وسُمِعت الوَجْبَةُ والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤].

قال عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فتلقوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

= في رمضان سنة ٤١ من عام الفيل فعنده يتم على نبوته – في ذلك اليوم – اثنى عشر عامًا وخمسة أشهر و١٨ يومًا أو ٢٢ يومًا.

(١) جدكم: حظكم وبقيتكم.

يحيي - وفي نسخة : يجيء - أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك[١].

وكانت المدينة كلها قد زحفت للاستقبال، وكان يومًا مشهودًا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها .

ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء على كلثوم بن الهدم، وقيل: بل على سعد بن خَيْثَمَة، والأول أثبت، ومكث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة ثلاثًا حتى أدى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده للناس، ثم هاجر ماشيًا على قدميه حتى لحقهما بقباء، ونزل على كلثوم بن الهَدْم[٢].

وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء أربعة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس[٣]، وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس - يوم الجمعة - ركب بأمر الله له، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار - أخواله - فجاءوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة وهم حوله، وأدركته الجمعة في بني سالم بن

(١) صحيح البخاري ١/ ٥٥٥.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٥٥.

(٣) زاد المعاد ٢/ ٥٤، ابن هشام ١/ ٤٩٣، رحمة للعالمين ١/ ١٠٢.

عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل[١].

ثم سار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الجمعة حتى دخل المدينة - ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعبر عنها بالمدينة مختصرًا - وكان يومًا مشهودًا أغر، فقد ارتجت البيوت والسكك بأصوات الحمد والتسبيح، وتغنت بنات الأنصار بغاية الفرح والسرور[٢]:

**طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع**
**وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع**
**أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع**[٣]

---

(١) هذا ما رواه ابن إسحاق، انظر ابن هشام ١/ ٤٩٤، وهو الذي اختاره العلامة المنصور فوري انظر رحمة للعالمين ١/ ١٠٢، وفي صحيح البخاري أنه أقام بقباء أربعًا وعشرين ليلة (١/ ٦١) وبضع عشرة ليلة (١/ ٥٥٥) وأربع عشرة ليلة (١/ ٥٦٠) وهذا الأخير هو الذي اختاره ابن القيم، وقد صرح هو نفسه أن نزوله بقباء كان يوم الاثنين وخروجه يوم الجمعة (زاد المعاد ٢/ ٥٤، ٥٥) ومعلوم أن فصل ما بينهما لا يزيد على عشرة أيام سوى يومي الدخول والخروج، ومعهما لا يزيد على اثنى عشر يومًا إذا كانا من اسبوعين.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٥٥، ٥٦٠، زاد المعاد ٢/ ٥٥، وابن هشام ١/ ٤٩٤، رحمة للعالمين ١/ ١٠٢.

(٣) ذكر ابن القيم أن إنشاد هذه الأشعار كان عند مرجعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك، ووهم من يقول: إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة (زاد المعاد ٣/ ١٠) لكن ابن القيم لم يأت على هذا التوهيم بدليل يشفي، وقد رجح العلامة المباركفوري في الرحيق المختوم أن ذلك كان عند مقدمه المدينة، ومعه دلائل لا يمكن ردها انظر رحمة للعالمين ١/ ١٠٦.

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «**خلوا سبيلها**[1] **فإنها مأمورة**»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار - أخواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان من توفيق الله لهم، فإنه أحب أن ينزل على أخواله، يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**المرء مع رحله**» وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته، فكانت عنده[2].

وفي رواية أنس عند البخاري، قال النبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله، هذه دارى، وهذا بابي، قال: فانطلق فهيئ لنا مقيلا ، قال: قوما على بركة الله[3].

وبعد أيام وصلت إليه زوجته سَوْدَة، وبنتاه فاطمة وأم كلثوم، وأسامة

---

(١) خلو سبيلها: اتركوها.

(٢) رحمة للعالمين ١/ ١٠٦، زاد المعاد ٢/ ٥٥.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥٥٦.

بن زيد، وأم أيمن، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، ومنهم عائشة وبقيت زينب عند أبي العاص، لم يمكنها من الخروج حتى هاجرت بعد بدر[١].

قالت عائشة: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، فكان بُطْحَان يجري نَجْلا، أي ماءً آجِنًا، وقالت: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

**كل امرئ مُصَبَّحٌ في أهله ... والموت أدنى من شِرَاك نَعْلِه**

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

**ألا ليت شعري هل أبيتن ... بواد وحولي إذخر وجليل**

**وهل أردن يومًا مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل**

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فجئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته، فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد حبًا، وصححها، وبارك في صاعها ومدها وانقل حمّاها فاجعلها بالجحفة**»[٢].

**بناء المسجد النبوي:**

قد أسلفنا أن نزول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة في بني النجار كان

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٥٥.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٨٨، ٥٨٩.

يوم الجمعة ١٢ربيع الأول سنة ١هـ، وأنه نزل في أرض أمام دار أبي أيوب، وقال: «**هاهنا المنزل إن شاء الله**» ثم انتقل إلى بيت أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأول خطوة خطاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك هو بناء المسجد النبوي، واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبِن والحجارة ويقول:

**اللهم لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرة فاغْفِرْ للأنصار والمُهَاجِرَة**

وكان يقول:

**هذا الحِمَالُ لا حِمَال خَيْبَر هذا أبرُّ رَبَّنَا وأطْهَر**

وكان ذلك مما يزيد نشاط الصحابة في العمل، حتى إن أحدهم ليقول:

**لئن قَعَدْنا والنبي يَعْمَل لذاك مِنَّا العَمَلُ المُضَلَّل**

وكانت في ذلك المكان قبور للمشركين، وكان فيه خرب ونخل وشجرة من غَرْقَد، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المشركين فنبشت وبالخَرِب فسويت، وبالنخل والشجرة فقطعت، وصفت في قبلة المسجد، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، وجعلت عضادتاه من حجارة، وأقيمت حيطانه من اللبن والطين، وجعل سقفه من جريد النخل، وعُمُده الجذوع، وفرشت أرضه بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب، وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، والجانبان مثل ذلك أو دونه، وكان أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع .

وبني بجانبه بيوتًا بالحجر واللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، وهي حجرات أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد تكامل الحجرات انتقل إليها من بيت أبي أيوب[١].

وفي أوائل الهجرة شرع الأذان، تلك النغمة العلوية التي تدوي في الآفاق، وتهز أرجاء الوجود، تعلن كل يوم خمس مرات بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتنفي كل كبرياء في الكون وكل دين في الوجود، إلا كبرياء الله، والدين الذي جاء به عبده محمد رسول الله.

وقد تشرف برؤيته في المنام أحد الصحابة الأخيار عبد الله بن زيد بن عبد ربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وافقت رؤياه رؤيا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢]، والقصة بكاملها مروية في كتب السنة والسيرة، وكذلك عند الترمذي وأبو داوود وأحمد وابن خزيمة[٣].

**المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:**

بعد بناء المسجد النبوي، كان من الرشد النبوي والحكمة السياسية بادر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المواخاة بينهم وكانوا كما تقول كتب التاريخ تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، في

(١) صحيح البخاري ١/ ٧١، ٥٥٥، ٥٦٠، زاد المعاد ٢/ ٥٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٣) انظر بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني ص١٥.

ظرف كان المهاجرين فيه أحوج إلى ما يخفف عنهم آلام الغربة والفاقة لتركهم ديارهم وأموالهم، فآخى بينهم على المساواة وعلى أن يتوارثوا بعد الموت، دون ذوي الأرحام إلى وقعة بدر الكبرى فلما أنزل الله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] رد التوارث لذي الأرحام[(١)].

فكان من كريم سجايا الأنصار وكرمهم أن كانوا يتنافسون في إنزال المهاجرين واستضافتهم في بيوتهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فعرضوا نخيلهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يقسمها بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين.

ولم تكن الهجرة إلى المدينة فراراً من التعذيب، بل كانت لإقامة دولة إسلامية وبناؤها بناءً قويًا، وجعلها مجتمعًا متماسكًا ليزيد ترابطه وتكافله في صورة إيمانية أخوية قوية.

فآخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وآخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك من بني سعد، وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل، وآخى بين أبي بكر وبين خارجة بن زيد، وآخى بين عثمان بن عفان وبين أوس بن ثابت، وآخى بين سلمان الفارسي وبين وأبو الدرداء.. وهكذا.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩٢ - ٤٥٨٠ - ٦٧٤٧.

روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت الأنصار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: فتكفونا المؤنة، ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا[1].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري ١ / ٣١٢.

## المبحث الثاني:
## غزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاء اليهود من المدينة

### المعاهدة مع اليهود:

بعد أن أرسى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قواعد مجتمع جديد وأمة إسلامية جديدة، بإقامة الوحدة العقدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، بدأ بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك توفير الأمن والسلام والسعادة الخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في ذلك العالم الملئ بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية.

وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود - كما أسلفنا - وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، لكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام .

### استفزازات قريش واتصالهم بعبد الله بن أبي بن سلول:

تقدم ما أدلى به كفار مكة من التنكيلات والويلات على المسلمين في مكة، ثم ما أتوا به من الجرائم التي استحقوا لأجلها المصادرة والقتال،

عند الهجرة، ثم إنهم لم يفيقوا من غيهم ولا امتنعوا عن عدوانهم بعدها، بل زادهم غيظًا أن فاتهم المسلمون ووجدوا مأمنًا ومقراً بالمدنية، فكتبوا إلى عبد الله بن أبي سلول - وكان إذ ذاك مشركًا - بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة فمعلوم أنهم كانوا قد اتفقوا عليه، وكادوا يجعلونه ملكًا على أنفسهم لولا أن هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، وآمنوا به كتبوا إليه وإلى أصحابه المشركين، يقولون لهم في كلمات باتة:

إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم[1].

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمتثل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة - وقد كان يحقد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لما يراه أنه استلبه ملكه - يقول عبد الرحمن بن كعب : فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقيهم، فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**»، فلما سمعوا ذلك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفرقوا[2].

---

(١) رواه أبو داوود، باب خبر النضير.

(٢) نفس المصدر.

وامتنع عبد الله بن أبي بن سلول عن القتال إذ ذلك؛ لمّا رأى خوراً أو رشداً في أصحابه، ولكن يبدو من تصرفاته أنه كان متواطئًا مع قريش، فكان لا يجد فرصة إلا وينتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين، وكان يضم معه اليهود، ليعينوه على ذلك، ولكن تلك هي حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كانت تطفئ نار شرهم حينا بعد حين.

ثم أن سعد بن معاذ انطلق إلى مكة معتمراً، فنزل على أمية بن خلف بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف البيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليكم منه: طريقك على أهل المدينة[1].

**قريش تهدد المهاجرين:**

وكأن قريشًا كانت تعتزم على شر أشد من هذا، وتفكر في القيام بنفسها للقضاء على المسلمين، وخاصة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يكن هذا مجرد وهم أو خيال، فقد تأكد لدى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهراً، أو في

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي ٢/ ٥٦٣.

حرس من الصحابة. روى الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدمه المدينة ليلة فقال: «**ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**»، قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ما جاء بك؟**» فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم نام[(١)].

ولم تكن هذه الحراسة مختصة ببعض الليالي، بل كان ذلك أمراً مستمراً فقد روي عن عائشة قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرس ليلاً حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه من القبة، فقال: «**يا أيها الناس، انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل**»[(٢)].

ولم يكن الخطر مقتصراً على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كان يحدق بالمسلمين كافة، فقد روى أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة[(٣)]، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه .

---

(١) رواه مسلم، باب فضل سعد بن أبي وقاص ٢/ ٢٨٠، واللفظ له، وصحيح البخاري، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ١/ ٤٠٤.

(٢) جامع الترمذي، أبواب التفسير ٢/ ١٣٠.

(٣) رمتهم العرب عن قوس واحدة: أي اجتمعت واتفقت على حربهم.

**الإذن بالقتال:**

في هذه الظروف الخطيرة التي كانت تهدد كيان المسلمين بالمدينة، وتنبئ عن قريش أنهم لا يفيقون عن غيهم ولا يمتنعون عن تمردهم بحال، أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين ولم يفرضه عليهم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

وأنزل معه آيات بين لهم فيها أن هذا الإذن إنما هو لإزاحة الباطل وإقامة شعائر الله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١] وكان الإذن مقتصراً على قتال قريش، ثم تطور فيما بعد مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً إلى غيرهم.

ولما نزل الإذن بالقتال رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجاراتهم، واختار لذلك خطتين :

**الأولى**: عقد معاهدات الحلف أو عدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق، أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة، وقد عقد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاهدة مع جهينة قبل الأخذ في النشاط العسكري وكانت مساكنهم على ثلاث مراحل من المدينة، كما عقد معاهدات أخرى أثناء دورياته العسكرية.

**الثانية**: إرسال البعوث والسرايا[١] واحدة تلو الأخرى إلى هذا الطريق.

ولتنفيذ هاتين الخطتين بدأ بالتحركات العسكرية فعلاً بعد نزول الإذن بالقتال وكانت أشبه بالدوريات الاستطلاعية، وكان المطلوب منها :

الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة، وعقد المعاهدات مع القبائل التي مساكنها على هذه الطرق، وإشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، وكذلك إنذار قريش عُقبَى طيشها، حتى تفيق عن غَيها الذي لا يزال يتوغل في أعماقها، وعلها تشعر بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معايشها فتجنح إلى السلم، وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل الله، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المسلمون أحراراً في إبلاغ رسالة الله في ربوع الجزيرة . وفيما يلى أحوال هذه السرايا بإيجاز:

**سرية سيف البحر:**

في رمضان سنة ١هـ، أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين

(١) سمى المؤرخون ما خرج فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه غزوة، حارب فيها أم لم يحارب، وما خرج فيه أحد قادته سرية.

يعترضون عيراً لقريش جاءت من الشام، وفيها أبوجهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص[١]، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجني - وكان حليفاً للفريقين جميعاً - بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا .

وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أبيض، وحمله أبو مرثد كَناز بن حصين الغَنَوي .

**سرية رابغ:**

في شوال سنة ١ من الهجرة، بعث لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين، فلقي أبا سفيان - وهو في مائتين - على بطن رابغ، وقد ترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال .

وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين، وهما المقداد بن عمرو البهراني، وعتبه بن غزوان المارني، وكانا مسلمين خرجا مع الكفار ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين، وكان لواء عبيدة أبيض، وحامله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف.

---

(١) العيص شمال غرب المدينة المنورة على بعد ٢٥٠ كيلو متراً عن طريق تجارة قريش المتجهة إلى الشام -قديماً- والمسمى بطريق مأرب بتراء، ويحدها من الغرب مدينة أملج على بعد ١٠٠ كيلو متر، ومن الشمال مدينة العلا على بعد ١٩٠ كيلو متراً، ومن الجنوب الغربي مدينة ينبع على بعد ١٨٠ كيلو متراً ومن الشرق مدينة خيبر ١٠٠كم وتتميز بموقعها الجغرافي.

**سرية الخرار**[١]:

في ذي القعدة سنة ١ هـ، بعث لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلا يعترضون عيراً لقريش، وعهد إليه إلا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس، فوجدوا العير قد مرت بالأمس .

كان لواء سعد رضى الله عنه أبيض، وحمله المقداد بن عمرو .

**غزة الأبواء أو ودان**[٢]:

في صفر سنة ٢ هـ، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بنفسه في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة يعترض عيراً لقريش، حتى بلغ ودان، فلم يلق كيداً، واستخلف فيها على المدينة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذه الغزوة عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشى الضمري، وكان سيد بنى ضمرة في زمانه، وهذه أول غزوة غزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، وكان اللواء أبيض وحامله حمزة بن عبدالمطلب.

---

(١) الخرار – بالفتح فالتشديد – موضع بالقرب من الجحفة.

(٢) وَدّان – بالفتح فالتشديد – موضع شرق شمال رابع يبعد عنه بنحو ثلاثين كيلو متراً، والأبواء: موضع بالقرب من ودان به قبر آمنة، والأبواء أو ودان هو مركز تابع لمحافظة رابغ شمال منطقة مكة المكرمة ويمر بها وادي الأبواء، وكانت في الجاهلية وصدر الإسلام من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة، وهي اليوم ديرة بني أيوب وبني محمد من قبيلة حرب.

**غزوة بدر الكبرى:**

قال ابن إسحاق: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش[١] عظيمة وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش، فندب الناس إليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها[٢]. فاستأجر أبو سفيان ضمضم الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا ويخبرهم أن محمداً قد عرض لتجارتهم في أصحابه، فتجهز الناس سراعًا، ولم يتخلف من أشراف قريش أحد، وأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش. فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراد الله، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[٣] لقاتلنا معك دونه، ثم قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أشيروا عليَّ أيها الناس. فقال سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ «أي الأنصار أهل المدينة» قال: أجل، فقال سعد: امض يا رسول الله لما أردت، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك

---

(١) في عير لقريش: في تجارتها.

(٢) ينفلكموها: يربحكم إياها.

(٣) **برك الغماد**: ذكر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب أنها جنوب الجزيرة بتهامة عسير على طريق الحجاج القادمون من الجنوب على الطريق الساحلي، جنوب القنفذة بـ ١٣٠كم، وبها مسجد أبو بكر الذي بناه في هجرته للحبشة.

ما تخلف منا رجل واحد. فسر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول سعد. ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين[١] والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم[٢].

ولما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشًا قال: اللهم هذه قريش أقبلت بخيلها وخيلائها وفخرها تحادك[٣] وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني.

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة، وابنه الوليد، حتى إذا فصل[٤] من الصف دعا إلى المبارزة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ادنوا منه. فبارز عبيدة عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة حتى قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد حتى قتله، واختلف عبيدة وعتبة ضربتين، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا[٥] عليه.

---

(١) إحدى الطائفتين: التجارة أو الجيش.

(٢) مصارع القوم: مكان مقتلهم.

(٣) تحادك: تحاربك.

(٤) فصل من الصف: اقترب منه.

(٥) ذففا عليه: قضيا عليه وقتلاه.

ثم خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس فحرضهم، وقال: والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً[١]، مقبلاً غير مدبر[٢] إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام - وفي يده تمرات يأكلهن -: أفما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل. ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ثم قال: شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: شدوا. فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد[٣] قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

وكانت غزوة بدر في السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية للهجرة، وتسمى أيضاً بغزوة الفرقان، وقد حارب الملائكة مع المسلمين يوم بدر، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة، ثم مد يده فجعل يهتف[٤] بربه حتى سقط رداءه عن منكبه، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

(١) محتسباً: قاصداً رضاه الله.

(٢) غير مدبر: غير فارٍ من الحرب.

(٣) الصناديد: الأبطال.

(٤) يهتف بربه: يستغيث ربه ويطلب منه المعونة.

مُرْدِفِينَ [1]﴾ [الأنفال: ٩]، فأنزل الله عز وجل ألفاً من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر[2] بعمامة صفراء وآخذ بعنان فرسه[3] بين السماء والأرض**».

وكان عدد شهداء المسلمين أربعة عشر شهيداً، وعدد قتلى وأسرى المشركين سبعون رجلاً، وقد ألقي قتلى المشركين في القليب.

**غزوة بني قينقاع وإجلاء اليهود من المدينة:**

قدمنا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد معاهدة مع اليهود، وقد كان حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة، وفعلاً لم يأت من المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها. ولكن اليهود الذين ملأوا تاريخهم بالغدر والخيانة ونكث العهود، لم يلبثوا أن تمشوا مع طبائعهم القديمة، وأخذوا في طريق الدس والمؤامرة والتحريش وإثارة القلق والاضطراب في صفوف المسلمين .

ولما رأوا أن الله قد نصر المؤمنين نصراً مؤزراً في ميدان بدر، وأنهم قد صارت لهم عزة وشوكة وهيبة في قلوب القاصي والداني، تميزت قدر غيظهم، وكاشفوا بالشر والعداوة، وجاهروا بالبغي والأذى .

---

(١) مردفين: متتابعين.

(٢) معتجر: لا بس.

(٣) عنان فرسه: رأس فرسه.

وكان أعظمهم حقداً وأكبرهم شراً كعب بن الأشرف، كما أن شر طائفة من طوائفهم الثلاث هم يهود بني قينقاع، كانوا يسكنون داخل المدينة - في حي باسمهم - وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني، ولأجل هذه الحرف كانت قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب، وكان عدد المقاتلين فيهم سبعمائة، وكانوا أشجع يهود المدينة، وكانوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود.

فلما فتح الله للمسلمين في بدر اشتد طغيانهم، وتوسعوا في تحرشاتهم واستفزازاتهم، فكانوا يثيرون الشغب، ويتعرضون بالسخرية، ويواجهون بالأذى كل من ورد سوقهم من المسلمين حتى أخذوا يتعرضون لنسائهم.

وعندما تفاقم أمرهم واشتد بغيهم، جمعهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوعظهم ودعاهم إلى الرشد والهدى، وحذرهم مغبة البغي والعدوان، ولكنهم ازدادوا في شرهم وغطرستهم .

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أصاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً**». قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً[1] لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا،

(١) أغماراً: لا علم لهم بالحرب ولا يجيدون القتال.

فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢- ١٣].

كان في معنى ما أجاب به بنو قينقاع هو الإعلان السافر عن الحرب، ولكن كظم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبر المسلمون، وأخذوا ينتظرون ما تتمخض عنه اللي إلى والأيام .

وازداد اليهود - من بني قينقاع - جراءة، فقلما لبثوا أن أثاروا في المدينة قلقًا واضطرابًا، وسعوا إلى حتفهم بظلفهم، وسدوا على أنفسهم أبواب الحياة.

وروى ابن هشام عن أبي عون: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها - وهي غافلة - فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله - وكان يهوديًا - فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[1].

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٧، ٤٨.

وحينئذ عِيلَ صبر[١] رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فاستخلف على المدينة أبا لُبَابة بن عبد المنذر، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، ولما رأوه تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وكان ذلك يوم السبت للنصف من شهر شوال سنة ٢هـ، ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب - فهو إذا أراد خذلان قوم وهزيمتهم أنزله عليهم وقذفه في قلوبهم - فنزلوا على حكم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا .

وحينئذ قام عبد الله بن أبي بن سلول بدور نفاقه، فألح على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يصدر عنهم العفو، فقال: يا محمد، أحسن في موالى - وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فكرر ابن أبي مقالته فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درعه، فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : أرسلني[٢]، وغضب حتى رأوا لوجهه ظُللاً، ثم قال: ويحك، أرسلني، ولكن المنافق مضى على إصراره وقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشي الدوائر.

---

(١) نَفِدَ وغُلب؛ قاموس المعجم الوسيط.

(٢) أرسلني: اتركني.

وعامل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المنافق - الذي لم يكن مضى على إظهار إسلامه إلا نحو شهر واحد فحسب - عامله بالحسنى، فوهبهم له، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أَذْرُعَات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم، وقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم أموالهم، فأخذ منها ثلاث قِسِي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح، وخمس غنائمهم، وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة[1].

**غزوة السّوِيق[2]:**

بينما كان صفوان بن أمية واليهود والمنافقون يقومون بمؤامراتهم وعملياتهم، كان أبو سفيان يفكر في عمل قليل المغارم ظاهر الأثر، يتعجل به؛ ليحفظ مكانة قومه، ويبرز ما لديهم من قوة، وكان قد نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب ليبِرَّ يمينه، حتى نزل بصدْر قَناة إلى جبل يقال له (ثَيبٌ)، من المدينة على بَرِيد أو نحوه، ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة جهاراً، فقام بعمل هو أشبه بأعمال القرصنة، فإنه دخل في ضواحي المدينة في الليل مستخفياً تحت جنح الظلام، فأتي حيي بن أخطب، فاستفتح بابه، فأبى وخاف، فانصرف

(١) زاد المعاد ٢/ ٧١، ٩١، ابن هشام ٢/ ٤٧، ٤٨، ٤٩.

(٢) قال ابن هشام: فيما حدثني أبو عبيدة: أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير، فسميت غزوة السويق.

إلى سَلاَّم بن مِشْكَم سيد بنِي النضير، وصاحب كنزهم إذ ذاك، فاستأذن عليه فأذن، فَقَرَاه وسقاه الخمر، وبَطَن له من خبر الناس، ثم خرج أبو سفيان في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث مفرزة منهم، فأغارت على ناحية من المدينة يقال لها: (العُرَيض)[1] فقطعوا وأحرقوا هناك أصْوَارًا من النخل، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما، وفروا راجعين إلى مكة[2].

وبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر، فسارع لمطاردة أبي سفيان وأصحابه ولكنهم فروا ببالغ السرعة، وطرحوا سويقاً كثيراً من أزوادهم وتموياتهم، يتخففون به، فتمكنوا من الإفلات، وبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قَرْقَرَةِ الكُدْر، ثم انصرف راجعاً، وحمل المسلمون ما طرحه الكفار من سويقهم، وسموا هذه المناوشة بغزوة السويق . وقد وقعت في ذي الحجة سنة ٢هـ بعد بدر بشهرين، واستعمل على المدينة في هذه الغزوة أبا لبابة بن عبد المنذر[3].

**غزوة ذي أمر:**

هي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل معركة أحد، قادها في المحرم سنة ٣هـ .

---

(١) وادٍ بالجهة الشرقية الشمالية ذكره في المغازي، وذكر الهمذاني وادٍ شامي بالمدينة قرب قناة.

(٢) الرحيق المختوم ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) زاد المعاد ٢/ ٩٠، ٩١، ابن هشام ٢/ ٤٤، ٤٥.

وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا، يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فندب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له: جُبَار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو، وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة . أما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم، وهو الماء المسمي (بذي أمر) فأقام هناك صفراً كله – من سنة ٣ هـ – أو قريباً من ذلك، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين، ويستولي عليهم الرعب والرهبة، ثم رجح إلى المدينة[١].

**غزوة بَحْران:**

هي دورية قتال كبيرة، قوامها ثلاثمائة مقاتل، قادها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر ربيع الآخر سنة ٣هـ إلى أرض يقال لها: بَحران – وهي مَعْدِن بالحجاز من ناحية الفَرْع – فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى – من السنة الثالثة من الهجرة – ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق حرباً[٢].

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٦، زاد المعاد ٢/ ٩١.

(٢) الرحيق المختوم ٢٤٥.

**سرية زيد بن حارثة:**

هي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل أحد، وقعت في جمادي الآخرة من السنة الثالثة للهجرة .

وتفصيلها: أن قريشـًا بقيت بعد بدر يساورها القلق والاضطراب، وجاء الصيف، واقترب موسم رحلتها إلى الشام، فأخذها هَمٌّ آخر، فقال صفوان بن أمية لقريش - وهو الذي نخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام - : إن محمداً وصحبه عَوَّرُوا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى الحبشة في الشتاء .

ودارت المناقشة حول هذا الموضوع، فقال الأسود بن عبد المطلب لصفوان: تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق - وهي طريق طويلة جداً تخترق نجداً إلى الشام، وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها، وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل - فأشار الأسود بن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فُرَات بن حَيَّان - وهو من بني بكر بن وائل - دليلاً له، ويكون رائده في هذه الرحلة.

وخرجت عير قريش يقودها صفوان بن أمية، آخذة الطريق الجديدة،

إلا أن أنباء هذه القافلة وخطة سيرها طارت إلى المدينة. وذلك أن سَلِيط بن النعمان - كان قد أسلم - اجتمع في مجلس شرب - وذلك قبل تحريم الخمر - مع نعيم بن مسعود الأشجعي - ولم يكن أسلم إذ ذاك - فلما أخذت الخمر من نعيم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وخطة سيرها، فأسرع سليط إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي له القصة . وجهز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوقته حملة قوامها مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة الكلبي، وأسرع زيد حتى دهم القافلة بغتة - على حين غرة - وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له: قَرْدَة - بالفتح فالسكون - فاستولى عليها كلها، ولم يكن من صفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة.

وأسر المسلمون دليل القافلة - فرات بن حيان، وقيل: ورجلين غيره - وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة، قدرت قيمتها بمائة ألف، وقسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الغنيمة على أفراد السرية بعد أخذ الخمس، وأسلم فرات بن حيان على يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكانت مأساة شديدة ونكبة كبيرة أصابت قريشًا بعد بدر، اشتد لها قلق قريش وزادتها هما وحزنًا. ولم يبق أمامها إلا طريقان، إما أن تمتنع عن غطرستها وكبريائها، وتأخذ طريق الموادعة والمصالحة مع المسلمين، أو تقوم بحرب شاملة تعيد لها مجدها التليد، وعزها القديم، وتقضي على

قوات المسلمين بحيث لا يبقى لهم سيطرة على هذا ولا ذاك، وقد اختارت مكة الطريق الثانية، فازداد إصرارها على المطالبة بالثأر، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة، وتصميمها على الغزو في ديارهم.

**غزوة أحد:**

حدثت في شوال سنة ٣هـ، وسببها: أنه لما أصيب يوم بدر من كفار قريش، ورجع سفيان بعيره، مشى رجال ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان، وكذلك من كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد قتل خياركم، فأعيننونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا. فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحابيشها[1]، ومن أطاعها من كنانة، وخرجوا معهم بالظعن[2] ابتغاء الحفيظة[3].

فلما سمع بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال: «**إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن دخلوا علينا قاتلناهم**»، فقال رجال من المسلمين: أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبُنَّا عنهم وضعفنا. فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ألف من

(١) أحابيشها: أتباعها.

(٢) الظعن: النساء.

(٣) ابتغاء الحفيظة: لإثارة النخوة في الحرب في الدفاع عنهن.

أصحابه، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد، انخزل[١] عنه عبدالله بن أبي بن سلول- زعيم المنافقين- بثلث الناس.

ومضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل الشعب من أحد، وتعبى[٢] للقتال، وهو في سبعمائة، وأمر على الرماة عبدالله بن جبير. والرماة خمسون رجلاً، فقال: انضح[٣] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، وفي ذلك اليوم قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه أبو دجانة[٤]، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فقال: أنا آخذه بحقه.

وتقارب الجمعان وتدانت الفئتان، وآنت مرحلة القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتيبة. خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير ولم يمهله، بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه.

---

(١) انخزل: رجع.

(٢) تعبى: استعد.

(٣) انضح: إرمِ.

(٤) أبو دجانة: هو سماك بن خرشة - أخو بني ساعدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ورأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الصراع الرائع فكبر، وكبر المسلمون وأثنى على الزبير، وقال في حقه: «**إن لكل نبي حواريًا، وحواري الزبير**»(١).

ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبدالدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة، وتقدم للقتال فحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه، حتى وصلت إلى سرته، فبانت رئته، ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهم أصاب حنجرته، فأَدْلَعَ لسانُهُ ومات لحينه. وقيل: بل خرج أبو سعد يدعو إلى البراز، فتقدم إليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاختلفا ضربتين، فضربه علي فقتله ، ثم رفع اللواء مُسَافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفْلَح بسهم فقتله، فحمل اللواء بعده أخوه كِلاَب بن طلحة بن أبي طلحة، فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله، ثم حمل اللواء أخوهما الجُلاَس بن طلحة بن أبي طلحة، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته. ثم حمله من بني عبد الدار أرطاة بن شُرَحْبِيل، فقتله على بن أبي طالب، وقيل: حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم حمله شُرَيح بن قارظ فقتله قُزْمَان - وكان منافقًا قاتل مع المسلمين

(١) ذكره صاحب السيرة الحلبية.

حمية، لا عن الإسلام - ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري، فقتله قزمان أيضـًا، ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان أيضـًا .

فهؤلاء عشرة من بني عبدالدار - من حمله اللواء - أبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء، فتقدم غلام لهم حبشي - اسمه صُؤَاب - فحمل اللواء، وأبدى من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله، فقد قاتل حتى قطعت يداه، فبرك على اللواء بصدره وعنقه؛ لئلا يسقط، حتى قتل وهو يقول: اللهم هل أعزرت[1]؟ وبعد أن قتل هذا الغلام - صُؤاب - سقط اللواء على الأرض، ولم يبق أحد يحمله، فبقي ساقطـًا .

وبينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين كان القتال المرير يجري في سائر نقاط المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تتقطع أمامه السدود، وهم يقولون: (أمت، أمت) وكان ذلك شعاراً لهم يوم أحد .

وأقبل أبو دُجَانة معلمـًا بعصابته الحمراء، آخذاً بسيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصممـًا على أداء حقه، فقاتل حتى أمعن في الناس، وجعل لا يلقى مشركـًا إلا قتله، وأخذ يهد صفوف المشركين هدّا. قال الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) يعني هل أعذرت ؟ كان بلسانه لكنة يقلب الذال إلى الزاي.

السيف فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة، وقلت في نفسي: أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه، فسألته إياه قبله فآتاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع ؟ فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فخرج وهو يقول:

**أنـــا الـــذي عاهـــدني خليلـــي ونحـــن بالسَّـــفْح لـــدى النَّخِيـــل**
**ألا أقـــوم الـــدَّهْرَ في الكَيـــول[١] أضْـــرِبْ بسَـــيف الله والرســـول**

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحًا إلا ذَفَّفَ عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته[٢]، فَعَضَّتْ بسيفه، فضربه أبو دجانة فقتله[٣].

ثم أمعن أبو دجانة في هدِّ الصفوف، حتى خلص إلى قائدة نسوة قريش وهو لا يدري بها .

قال أبو دجانة : رأيت إنسانًا يخْمِش الناس خمشًا شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولَوْلَ، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أضرب به امرأة.

---

(١) الكيول: آخر الصفوف يعني أنه لا يقاتل في مؤخرة الصفوف، بل يظل أبداً في المقدمة.

(٢) اتقاه بدرقته: صد سيفه بترسه.

(٣) ابن هشام ٢/ ٦٨، ٦٩.

وكانت تلك المرأة هي هند بنت عتبة. قال الزبير بن العوام: رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها، فقلت : الله ورسوله أعلم[١].

وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتال الليوث المهتاجة، فقد اندفع إلى قلب جيش المشركين يغامر مغامرة منقطعة النظير، ينكشف عنه الأبطال كما تتطاير الأوراق أمام الرياح الهوجاء، فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة في إبادة حاملي لواء المشركين فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين، حتى قتله وحشي بن حرب[٢] بحربةٍ كانت معه وهو في مقدمة المبرزين. وكانت للفصيلة التي عينها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جبل الرماة يد بيضاء في إدارة دفة القتال لصالح الجيش الإسلامي، فقد هجم فرسان مكة بقيادة خالد بن الوليد يسانده أبو عامر الفاسق ثلاث مرات؛ ليحطموا جناح الجيش الإسلامي الأيسر، حتى يتسربوا إلى ظهور المسلمين، فيحدثوا البلبلة والارتباك في صفوفهم وينزلوا عليهم هزيمة ساحقة، ولكن هؤلاء الرماة رشقوهم بالنبل حتى فشلت هجماتهم الثلاث[٣].

---

(١) ابن هشام ٢/ ٦٩.

(٢) كان آنذاك غلاماً لجبير بن مطعم، أسلم بعد معركة الطائف، وقتل مسيلمة الكذاب بحربته تلك، وشهد اليرموك

(٣) انظر فتح الباري ٧ / ٣٤٦.

هكذا دارت رحى الحرب الزَّبُون، وظل الجيش الإسلامي الصغير مسيطرًا على الموقف كله حتى خارت عزائم أبطال المشركين، وأخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والأمام والخلف، كأن ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم لا بضع مئات قلائل، وظهر المسلمون في أعلى صور الشجاعة واليقين .

وبعد أن بذلت قريش أقصى جهدها لسد هجوم المسلمين أحست بالعجز والخور، وانكسرت همتها - حتى لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها الذي سقط بعد مقتل صُؤاب فيحمله ليدور حوله القتال - فأخذت في الانسحاب، ولجأت إلى الفرار، ونسيت ما كانت تتحدث به في نفوسها من أخذ الثأر والوتر والانتقام، وإعادة العز والمجد والوقار.

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسوهم[١] بالسيوف حتى كشفوهم[٢] عن المعسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

روى عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبيه أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خَدَم[٣] - سوق - هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما

(١) فحسوهم بالسيف: حاربوهم.

(٢) كشفوهم: هزموهم.

(٣) جمع خدمة، وهي الخلخال في الرجل.

دون أخذهن قليل ولا كثير... إلخ[١].

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري في الصحيح: فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن[٢]، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم.

**غلطة الرماة:**

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقًا على أهل مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تمامًا، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سببًا في مقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، وعلى الهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر .

لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم[٣]، فما تنتظرون؟

---

(١) ابن هشام ٢ / ٧٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥٧٩.

(٣) ظهر أصحابكم: أي انتصروا على عدوهم.

أما قائدهم عبدالله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ولكن الأغلبية الساحقة لم تلق لهذا التذكير بالاً، وقالت: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة[1]، ثم غادر أربعون رجلاً أو أكثر من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسَوَاد الجيش ليشاركوه في جمع الغنائم . وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا عبدالله بن جبير وتسعة أو أقل من أصحابه والتزموا مواقفهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا .

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فكرَّ بسرعة خاطفة إلى جبل الرماة ليدور من خلفه إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبدالله بن جبير وأصحابه إلا البعض الذين لحقوا بالمسلمين، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف بها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد فانقلبوا على المسلمين، وأسرعت امرأة منهم - وهي عمرة بنت علقمة الحارثية - فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتف حوله المشركون ولاثوا به، وتنادى بعضهم بعضاً، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شِقَّي الرحى .

---

(١) روى ذلك البخاري من حديث البراء بن عازب ١/ ٤٢٦.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ في مفرزة صغيرة - تسعة نفر من أصحابه[١] - في مؤخرة المسلمين[٢]، كان يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين؛ إذ بوغت بفرسان خالد مباغتة كاملة، فكان أمامه طريقان : إما أن ينجو - بالسرعة - بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد، وهناك تجلت عبقرية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه: «إلي عباد الله»، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً فقد علم به المشركون فخلصوا إليه[٣] قبل أن يصل إليه المسلمون.

أما المسلمون فلما وقعوا في التطويق طار صواب طائفة منهم، فلم تكن تهمها إلا أنفسها، فقد أخذت طريق الفرار، وتركت ساحة القتال،

---

(١) في صحيح مسلم (٢/ ١٠٧) أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفرد يوم أحد فدى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.

(٢) دلت عليه الآية رقم (١٥٣) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾.

(٣) خلصوا إليه: أي وصلوا إليه.

وهي لا تدري ماذا وراءها؟ وفر من هذه الطائفة بعضهم إلى المدينة حتى دخلها، وانطلق بعضهم إلى ما فوق الجبل .

ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين، والتبس العسكران فلم يتميزا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض .

وهذه الطائفة حدث داخل صفوفها ارتباك شديد، وعمتها الفوضي، وتاه منها الكثيرون؛ لا يدرون أين يتوجهون، وبينما هم كذلك إذ سمعوا صائحًا يصيح: إن محمداً قد قتل، فطارت بقية صوابهم، وانهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثير من أفرادها، فتوقف من توقف منهم عن القتال، وألقى بأسلحته مستكينًا، وفكر آخرون في الاتصال بعبد الله بن أبي – رأس المنافقين – ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان، ومر بهؤلاء أنس بن النضر، وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون ؟ فقالوا: قتل رسول الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهًا لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل، فما عرف حتى عرفته أخته – بعد نهاية المعركة – ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم[1].

(١) زاد المعاد ٢/ ٩٣، ٩٦ صحيح البخاري ٢/ ٥٧٩، وبنانه: أي اصبعه.

ونادى ثابت بن الدَحْدَاح قومه فقال: يا معشر الأنصار، إن كان محمد قد قتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم، فإن الله مظفركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فحمل بهم على كتيبة فرسان خالد فما زال يقاتلهم حتى قتله خالد بالرمح، وقتل أصحابه[١]. ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار، وهو يَتَشَحَّطُ في دمه، فقال: يافلان، أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بَلَّغ، فقاتلوا عن دينكم[٢].

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أواصر التطويق، وتطحن بين شِقَّي رَحَى المشركين، كان العراك محتدماً حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ذكرنا أن المشركين لما بدءوا عمل التطويق لم يكن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا تسعة نفر، فلما نادي المسلمين: «هلموا إلي، أنا رسول الله»، سمع صوته المشركون وعرفوه، فكروا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني والبسالة والبطولة.

**أحرج ساعة في حياة الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣]:

ففي الصحيحين عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

---

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٢٢.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٩٦.

(٣) الرحيق المختوم ٢٦٧.

بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة ابن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين، ولم يتوان[١] المشركون في انتهاز تلك الفرصة فقد ركزوا حملتهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطمعوا في القضاء عليه.

ففي الصحيح أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسرت رَبَاعِيَته[٢]، وشُجَّ[٣] في رأسه، فجعل يَسْلُتُ الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ولا شك أن المشركين كانوا يهدفون القضاء على حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن القرشيين سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله قاما ببطولة نادرة، وقاتلا ببسالة منقطعة النظير، حتى لم يتركا - وهما اثنان فحسب - سبيلاً إلى نجاح المشركين في هدفهم، وكانا من أمهر رماة العرب فتناضلا حتى أجهضا مفرزة المشركين عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأما سعد بن أبي وقاص، فقد نثل له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنانته وقال:

---

(١) لم يتوان: لم يتأخر.

(٢) رباعيته: أحد أسنانه.

(٣) شج: شق.

«**ارم فداك أبي وأمي**» ويدل على مدى كفاءته أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجمع أبويه لأحد غير سعد[١].

وقعت هذه كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة، وإلا فالمصطفون الأخيار من الصحابة - الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال - لم يكادوا يرون تغير الموقف، أو يسمعوا صوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أسرعوا إليه؛ لئلا يصل إليه شيء يكرهونه، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لقي من الجراحات - وستة من الأنصار قد قتلوا والسابع قد أثبتته الجراحات، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح - فلما وصلوا أقاموا حوله سياجًا من أجسادهم وسلاحهم، وبالغوا في وقايته من ضربات العدو، ورد هجماته. وكان أول من رجع إليه أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عصابة من أبطال المسلمين، منهم أبو دُجَانة، ومصعب بن عمير، وعلي بن أبي طالب، وسهل بن حنيف، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وأم عمارة نُسَيْبة بنت كعب المازنية، وقتادة ابن النعمان، وعمر بن الخطاب، وحاطب بن أبي بلتعة، وأبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وكان عدد المشركين يتضاعف كل آن، وبالطبع فقد اشتدت حملاتهم

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ٤٠٧، ٢/ ٥٨٠، ٥٨١.

وزاد ضغطهم على المسلمين، حتى سقط رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها، فجُحِشَتْ ركبته، وأخذه علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائمـًا، وقام المسلمون ببطولات نادرة وتضحيات رائعة، لم يعرف لها التاريخ نظيراً، كان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويرفع صدره ليقيه سهام العدو. وكان يشرف صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نَحْرِي دون نحرك[1].

وقام أبو دجانة أمام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَتَرَّسَ عليه بظهره. والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك.

وتبع حاطب بن أبي بلتعة عتبة بن أبي وقاص - الذي كسر الرَّباعية الشريفة - فضربه بالسيف حتى طرح رأسه، ثم أخذ فرسه وسيفه، وكان سعد بن أبي وقاص شديد الحرص على قتل أخيه - عتبة هذا - إلا أنه لم يظفر به، بل ظفر به حاطب . وكان سهل بن حُنَيف أحد الرماة الأبطال، بايع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الموت، ثم قام بدور فعال في غزوة أحد.

وحينئذ استطاع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق، فأقبل إليهم فعرفه كعب بن مالك - وكان أول من عرفه - فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٨١.

فأشار إليه أن اصمت - وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون - إلا أن هذا الصوت بلغ إلى آذان المسلمين، فلاذ إليه المسلمون حتى تجمع حوله حوالى ثلاثين رجلاً من الصحابة.

وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل، وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجمين، واشتد المشركون في هجومهم؛ لعرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة ليوث الإسلام .

وبمثل هذه البسالة بلغت هذه الكتيبة - في انسحاب منظم - إلى شعب الجبل، وشق لبقية الجيش طريقـًا إلى هذا المقام المأمون، فتلاحق به في الجبل، وفشلت عبقرية خالد أمام عبقرية رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ .

وفي أثناء انسحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل، فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع؛ لأنه كان قد بَدَّنَ وظاهر بين الدرعين، وقد أصابه جرح شديد.فجلس تحته طلحة بن عبيدالله، فنهض به حتى استوى عليها، وقال: أَوْجَبَ طلحةُ[1] أي : الجنة.

**مقتل أبي بن خلف:**

قال ابن إسحاق: فلما أسند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا، فقال القوم: يا

(١) ابن هشام، ٢/ ٨٦.

رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوه**»[١] فلما دنا منه تناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر[٢] عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر تَرْقُوَتَه من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدأدأ[٣] - تدحرج - منها عن فرسه مراراً. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك[٤]، فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكة[٥]. وفي رواية أبي الأسود عن عروة، وكذا في رواية سعيد بن المسيب عن أبيه: أنه كان يخور خوار الثور، ويقول: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعاً[٦].

---

(١) دعوه: أي اتركوه.

(٢) وذكر ابن اسحاق ما نصه: فلما أخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعراء عن ظهر البعير إذا انتفض، والمقصود بالشعراء: هي الذباب.

(٣) تدأدأ: انقلب وارتمى.

(٤) وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان بمكة كان يلقاه أبي بن خلف هذا، فيقول: يا محمد، إن عندي العود فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أنا أقتلك إن شاء الله.

(٥) ابن هشام ٢/ ٨٤.

(٦) ابن هشام ٢/ ٨٦.

**التثبت من موقف المشركين:**

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «**اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وما يريدون؟ فإن كانوا قد جَنَبُوا الخيل، وامْتَطُوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا قد ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم**» قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووَجَّهُوا إلى مكة[(١)].

اتفقت جل الروايات على أن قتلى المسلمين كانوا سبعين، وكانت الأغلبية الساحقة من الأنصار؛ فقد قتل منهم خمسة وستون رجلاً، واحد وأربعون من الخزرج، وأربعة وعشرون من الأوس، وقتل رجل من اليهود. وأما شهداء المهاجرين فكانوا أربعة فقط.

وأما قتلى المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلاً، ولكن الإحصاء الدقيق - بعد تعميق النظر في جميع تفاصيل المعركة التي ذكرها أهل المغازي والسير، والتي تتضمن ذكر قتلى المشركين في مختلف مراحل القتال - يفيد أن عدد قتلى المشركين سبعة وثلاثون، لا اثنان وعشرون، والله أعلم[(٢)].

---

(١) ابن هشام ٢/ ٩٤، وفي فتح الباري أن الذي خرج في آثار المشركين هو سعد بن أبي وقاص (٧/ ٣٤٧).

(٢) الرحيق المختوم ص٢٨٤.

**غزوة حمراء الأسد:**

وبات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يفكر في الموقف، فقد كان يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئًا من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال، فلا بد من أن يندموا على ذلك، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي .

قال أهل السير ما حاصله: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نادي في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء العدو وذلك صباح الغد من معركة أحد، أي يوم الأحد الثامن من شهر شوال سنة ٣ هـ وقال : «**لا يخرج معنا إلا من شهد القتال**» فقال له عبدالله بن أبي: أركب معك؟ قال : «**لا**» واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد، والخوف المزيد، وقالوا: سمعًا وطاعة.

واستأذنه جابر بن عبد الله، وقال: يا رسول الله، إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك، وإنما خلفني أبي على بناته فائذن لي أسير معك، فأذن له وسار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد، على بعد ثمانية أميال من المدينة، فعسكروا هناك، وهناك أقبل مَعْبَد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلم - ويقال: بل كان على شركه، ولكنه كان ناصحًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان بين خزاعة وبني هاشم من الحلف - فقال: يا محمد، أما والله لقد عز

علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك. فأمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلحق أبا سفيان فَيُخَذِّلَه.

ولم يكن ما خافه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تفكير المشركين في العودة إلى المدينة إلا حقـًا، فإنهم لما نزلوا بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة تلاوموا فيما بينهم، قال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئـًا، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم .

ويبدو أن هذا الرأي جاء سطحيـًا ممن لم يكن يقدر قوة الفريقين ومعنوياتهم تقديراً صحيحـًا؛ ولذلك خالفهم زعيم مسئول - صفوان بن أمية - قائلاً: يا قوم، لا تفعلوا فإني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف من الخروج - أي من المسلمين في غزوة أحد - فارجعوا والدولة لكم، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم.

إلا أن هذا الرأي رفض أمام رأي الأغلبية الساحقة، وأجمع جيش مكة على المسير نحو المدينة، ولكن قبل أن يتحرك أبو سفيان بجيشه من مقره لحقه معبد بن أبي معبد الخزاعي ولم يكن يعرف أبو سفيان بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال معبد - وقد شن عليه حرب أعصاب دعائية عنيفة- : محمد قد خرج في أصحابه، يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقـًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم،

وندموا على ما ضيعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط .

حينئذ انهارت عزائم الجيش المكي، وأخذه الفزع والرعب، فلم ير العافية إلا في مواصلة الإنسحاب والرجوع إلى مكة، بيد أن أبا سفيان قام بحرب أعصاب دعائية ضد الجيش الإسلامي، لعله ينجح في كف هذا الجيش عن مواصلة المطاردة، فقد مر به ركب من عبد القيس يريد المدينة، فقال: هل أنتم مبلغون عني محمد رسالة، وأوقر لكم راحلتكم هذه زبيباً بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟ قالوا: نعم.

قال: فأبلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الكرة، لنستأصله ونستأصل أصحابه.

فمر الركب برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه، وهم بحمراء الأسد، فأخبرهم بالذي قاله أبو سفيان، وقالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم - أي المسلمون قولهم ذلك - إيماناً ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

أقام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحمراء الأسد - بعد مقدمه يوم الأحد - الاثنين والثلاثاء والأربعاء - ٩/ ١٠/ ١١ من شوال سنة ٣هـ - ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن هشام عن بعض أهل العلم: أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال

لعلي: «**لا يصيب المشركون منا مثلها**[١] **حتى يفتح الله علينا**»[٢].

ومما لاشك فيه أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة مستقلة، إنما هي جزء من غزوة أحد وتتمة لها، وصفحة من صفحاتها.

وإذن فهذه الغزوة إنما كانت حربًا غير منفصلة، وأخذ كل فريق بقسطه ونصيبه من النجاح والخسارة، ثم حاد كل منهما عن القتال، من غير أن يفر عن ساحة القتال ويترك مقره لاحتلال العدو، وهذا هو معنى الحرب غير المنفصلة.

وإلى هذا يشير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا[٣] فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ[٤] إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

**السرايا والبعوث بين أحد والأحزاب:**

كان لمأساة أحد أثر سيئ على سمعة المؤمنين، فقد ذهبت ريحهم، وزالت هيبتهم عن النفوس، وزادت المتاعب الداخلية والخارجية على المؤمنين وأحاطت الأخطار بالمدينة من كل جانب، وكاشف اليهود والمنافقون والأعراب بالعداء السافر، وهمت كل طائفة منهم أن تنال من المؤمنين، بل طمعت في أن تقضي عليهم وتستأصل شأفتهم .

---

(١) لا يصيب المشركون منا مثلها: لا يقبلوا منا بعد اليوم.

(٢) السيرة لابن هشام ٦٠، ١٠٠.

(٣) لا تهنوا: لا تضعفوا من قولهم.

(٤) في ابتغاء القوم: في التماس وطلب القوم.

فلم يمض على هذه المعركة شهران حتى تهيأت بنو أسد للإغارة على المدينة، ثم قامت قبائل عَضَل وقَارَة في شهر صفر سنة ٤هـ بمكيدة تسببت في قتل عشرة من الصحابة، وفي نفس الشهر قام عامر بن الطُّفَيل العامري بتحريض بعض القبائل حتى قتلوا سبعين من الصحابة، وتعرف هذه الوقعة بوقعة بئر مَعُونَة، ولم تزل بنو نضير خلال هذه المدة تجاهر بالعداوة حتى قامت في ربيع الأول سنة ٤هـ بمكيدة تهدف إلى قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتجرأت بنو غَطَفَان حتى همت بالغزو على المدينة في جمادي الأولى سنة ٤هـ.

فريح المسلمين التي كانت قد ذهبت في معركة أحد تركت المسلمين - إلى حين - يهددون بالأخطار، ولكن تلك هي حكمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي صرفت وجوه التيارات، وأعادت للمسلمين هيبتهم المفقودة، وأكسبتهم العلو والمجد من جديد، وأول ما أقدم عليه بهذا الصدد هي حركة المطاردة التي قام بها إلى حمراء الأسد، فقد حفظ بها قدراً من سمعة جيشه، واستعاد بها من مكانته شيئًا مذكوراً، ثم قام بمناورات أعادت للمسلمين هيبتهم، بل زادت فيها، ومنها:

**سرية أبي سلمة**: في هلال المحرم سنة ٤هـ، بقيادة أبو سلمة في سرية قوامها مائة وخمسون مقاتلاً من المهاجرين والأنصار.

**بعث عبدالله بن أنيس**: في اليوم الخامس من نفس الشهر من نفس السنة.

**بعث الرجيع**: في شهر صفر من نفس السنة، بقيادة مرثد بن أبي مرثد الغنوي.

**غزوة بني النضير**: بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم: اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه، فبعثوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فلما بلغه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوابهم كبر وكبر أصحابه، ثم نهض لمناجزتهم، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار، ولم يطل الحصار - فقد دام ست ليال فقط - حتى استسلموا وألقوا السلاح، فأنزلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يخرجوا بأنفسهم وذراريهم وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فنزلوا على ذلك.

**غزوة بدر الثانية**: في شعبان سنة ٤هـ خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة، ولم يلق حرباً، حيث أن المشركين تملكهم الخوف والرعب، فرجعوا من مر الظهران - على بعد مرحلة من مكة- فانتضر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ثمانية أيام ثم رجع إلى المدينة، وقد انتقل زمام المفاجأة بأيديهم، وتوطدت هيبتهم في النفوس، وسادوا على الموقف وتعرف هذه الغزوة ببدر الموعد، وبدر الثانية، وبدر الآخرة، وبدر الصغرى[1].

(١) تفصيل هذه الغزوة في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، زاد المعاد ٢/ ١١٢.

**غزوة دومة الجندل**[١]: في ربيع الأول من سنة ٥هـ بقيادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه ألف من المسلمين.

**غزوة الخندق (الأحزاب):**

عاد الأمن والسلام، وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعوث التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود - الذين كانوا قد ذاقوا ألوانـًا من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم - لم يفيقوا من غيهم، ولم يستكينوا، ولم يتعظوا بما أصابهم من نتيجة الغدر والتآمر، فهم بعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين من خلال المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين، ولما تحول مجرى الأيام لصالح المسلمين، وتمخضت الليإلي والأيام عن بسط نفوذهم، وتوطد سلطانهم تحرق هؤلاء اليهود أي تحرق.

وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة، لتصويب ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها، ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على قتال المسلمين مباشرة، خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة.

خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش

---

(١) دومة: موضع معروف بمشارف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها عن المدينة خمس عشرة ليلة.

بمكة، يحرضونهم على غزو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، وكانت قريش قد أخلفت موعدها في الخروج إلى بدر، فرأت في ذلك إنقاذا لسمعتها والبر بكلمتها. ثم خرج هذا الوفد إلى غَطَفَان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشاً فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك فاستجاب له من استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين .

وعلى إثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة - وقائدهم أبو سفيان - في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمَرِّ الظَّهْرَان، وخرجت من الشرق قبائل غطفان: بنو فَزَارة، يقودهم عُيينَة بن حِصْن، وبنو مُرَّة، يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع، يقودهم مِسْعَر بن رُحَيلَةِ، كما خرجت بنو أسد وغيرها، واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه.

وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عَرَمْرَم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ.

ولو بلغت هذه الأحزاب والمحزبة والجنود المجندة إلى أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطراً على كيان المسلمين مما يقاس، وربما تبلغ إلى

استئصال الشأفة وإبادة الخضراء، ولكن قيادة المدينة كانت قيادة متيقظة، لم تزل واضعة أناملها على العروق النابضة، تتجسس الظروف، وتقدر ما يتمخض عن مجراها، فلم تكد تتحرك هذه الجيوش عن مواضعها حتى نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها بهذا الزحف الخطير .

وسارع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه موضع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تنفيذ هذه الخطة، ولما فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من نجد، وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره.

وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال إلا فوارس من قريش يقتحمون الخندق، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس للهجرة وكان من صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة (اليهود)

عكرمة بن أبي جهل وغيره فقالوا لهم: اغدوا للقتال حتى نناجز[١] محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم سبت وهو يوم لا نعمل فيه، ولسنا بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم، فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن تتركونا، والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فأبوا عليهم. وخذّل[٢] الله بينهم، وبعث عليهم الريح في ليال باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ[٣] قدورهم وتطرح[٤] آنيتهم، فلما انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما يفعل القوم ليلاً، فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا، قال حذيفة: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا إناء ولا بناء، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف[٥]

---

(١) نناجز: نحارب.

(٢) خذّل الله بينهم: فرق بينهم.

(٣) تكفأ: تقلب.

(٤) تطرح: ترمي.

(٥) هلك الكراع والخف: هلكت الخيل والإبل.

وأخلفتنا بنو قريظة[١] وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قائم يصلي في مرط[٢] لبعض نسائه، فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد، فأخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا[٣] راجعين إلى بلادهم. ولما أصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم**»[٤].

**غزوة بني قريظة:**

وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، جاءه جبريل عند الظهر، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أوَقد وضعت

(١) أخلفتنا بنو قريظة: نقضوا عهدهم.

(٢) مرط: كساء.

(٣) انشمروا: قفلوا و رجعوا.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٤ – ٢٣٢، وذكر ذلك البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد ١/ ٤١١، وكذلك في كتاب المغازي ٢/ ٥٩٠ وذلك بلفظ «الآن نغزوهم لا يغزوننا، نحن نسير إليهم».

السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة .

وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذنًا فأذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصَلِّينَّ العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية علي بن أبي طالب، وقدّمه إلى بني قريظة، فسار علي حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موكبه من المهاجرين والأنصار، حتى نزل على بئر من آبار قريظة يقال لها: بئر أنَّا. وبادر المسلمون إلى امتثال أمره، ونهضوا من فورهم، وتحركوا نحو قريظة، وأدركتهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا، حتى إن رجالاً منهم صلوا العصر بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك، وإنما أراد سرعة الخروج، فصلوها في الطريق، فلم يعنف واحدة من الطائفتين .

هكذا تحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالاً حتى تلاحقوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرسًا، فنازلوا حصون بني قريظة، وفرضوا عليهم الحصار.

ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث

خصال: إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم - وقد قال لهم: والله، لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم - وإما أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم، ويخرجوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسيوف مُصْلِتِين، يناجزونه حتى يظفروا بهم، أو يقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ويكبسوهم يوم السبت؛ لأنهم قد أمنوا أن يقاتلوهم فيه، فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث، وحينئذ قال سيدهم كعب بن أسد - في انزعاج وغضب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا.

ولم يبق لقريظة بعد رد هذه الخصال الثلاث إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنهم أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين، لعلهم يتعرفون ماذا سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه، فبعثوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أرسل إلينا أبا لُبَابة نستشيره، وكان حليفًا لهم، وكانت أمواله وولده في منطقتهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجَهَشَ النساء والصبيان يبكون في وجهه، فَرَقَّ لهم، وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم؛ وأشار بيده إلى حلقه، يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتى المسجد النبوي بالمدينة، فربط نفسه

بسارية المسجد، وحلف ألا يحله إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبره - وكان قد استبطأه - قال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، أما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**». فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحكم فيهم رجل منهم (هو سعد بن معاذ) فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1].

**غزوة بني لَحْيَان:**

بنو لحيان هم الذين كانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرَّجِيع، وتسببوا في إعدامهم، ولكن لما كانت ديارهم متوغلة في الحجاز إلى حدود مكة، والتارات الشديدة قائمة بين المسلمين وقريش والأعراب، لم يكن يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتوغل في البلاد بمقربة من العدو الأكبر، فلما تخاذلت الأحزاب، واستوهنت عزائمهم، واستكانوا للظروف الراهنة إلى حد ما، رأى أن الوقت قد آن لأن يأخذ من بني لحيان ثأر أصحابه المقتولين بالرجيع، فخرج إليهم في ربيع الأول أو جمادي الأولى سنة ٦ هـ في مائتين من أصحابه، واستخلف

(١) سبعة أرقعة: سبع سماوات.

على المدينة ابن أم مكتوم، وأظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان - واد بين أَمَجَ وعُسْفَان - حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كُرَاع الغَمِيم[1] لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة .

**غزوة بني المُصطلق أو غزوة المريسيع[2]:**

وهذه الغزوة وإن لم تكن طويلة الذيل، عريضة الأطراف من حيث الوجهة العسكرية، إلا أنها وقعت فيها وقائع أحدثت البلبلة والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وتمخضت عن افتضاح المنافقين، والتشريعات التعزيرية التي أعطت المجتمع الإسلامي صورة خاصة من النبل والكرامة وطهارة النفوس.

وقد كانت هذه الغزوة في شعبان سنة خمس عند عامة أهل المغازي، وسنة ست على قول ابن إسحاق وسببها أنه بلغه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رئيس بني المصطلق الحارث بن أبي ضِرَار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعث بُرَيْدَة بن الحصيب

(١) كراع الغميم: موضع بالحجاز بين مكة والمدينة، وهو أقرب إلى مكة.

(٢) المريسيع: بالضم فالفتح مصغراً، اسم لماء من مياههم في ناحية قُدَيْد إلى الساحل.

الأسلمي لتحقيق الخبر، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره الخبر، وبعد أن تأكد لديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحة الخبر ندب الصحابة، وأسرع في الخروج، وكان خروجه لليلتين خلتا من شعبان، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقيل: أبا ذر، وقيل: نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي، وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عينًا[1]؛ ليأتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتله عينه، خافوا خوفًا شديداً وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المُرَيْسِيع فتهيأوا للقتال، وَصَفَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحملوا - النساء والذراري والنعم والشاء، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظنًا منه أنه من العدو.

**صلح الحديبية:**

خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذي القعدة معتمراً لا يريد حربًا، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وأحرم

(١) عينًا: عين شخصًا وأرسله ليستقصي خبر جيش المسلمين.

بالعمرة ليأمن الناس من حربه، حتى إذا كان بعسفان[١] لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد علمت بمسيرك فخرجوا يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم. قال: «**ما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة**»[٢]. وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا سلك في ثنية المرار[٣] بركت ناقته، فقال: «**حبسها**[٤] **حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها**»، ثم قال للناس انزلوا. قيل له: يا رسول الله، ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج سهمـًا فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قليب[٥] من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء[٦] حتى ضرب الناس بعطن[٧]، ثم بعثوا له قريشـًا عروة بن مسعود، فخرج حتى أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس بين يديه، ثم جعل يتناول لحية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يكلمه،

(١) عسفان: بين مكة والمدينة، تبعد عن مكة قرابة ١٠٠ كم.

(٢) تنفرد هذه السالفة: السالفة أي العنق، وقصد بقوله (حتى الموت).

(٣) ثنية المرار: تبعد عن مكة قرابة ٢٥ كم.

(٤) حبسها حابس الفيل: منعها عن مكة كما منع أبرهة الأشرم يوم جاء لهدم الكعبة.

(٥) قليب: بئر.

(٦) جاش بالرواء: امتلأ بالماء الكثير.

(٧) العطن: مبرك الإبل حول الماء.

والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديد، فجعل يقرع[١] يده إذا تناول لحية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول له: أكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك، فقال عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقام من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم. ودعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبعثه إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً له، وبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت. ثم أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل، ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا له: ائت محمداً وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فاصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه[٢].

---

(١) يقرع: يضرب.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٠٨ – ٣٢٢ باختصار.

**فتح خيبر:**

كانت في السنة السابعة من الهجرة، قال ابن اسحاق: ثم أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة حين رجع من صلح الحديبية، ذا الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غزا قوماً لم يغر[١] عليهم حتى يصبح فإذا سمع أذاناً أمسك، واستقبلنا عمال خيبر غادين، فلما رأونا قالوا: محمد والخميس[٢] معه، فأدبروا هراباً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتدنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً. ولما افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حصونهم ما افتتح، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً بعد أن حاصرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضع عشرة ليلة.

**غزوة مؤتة[٣]:**

هذه المعركة أكبر لقاء مُثْخِن، وأعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي مقدمة وتمهيد لفتوح بلدان

---

(١) يغر: يهجم.

(٢) الخميس: الجيش.

(٣) مؤتة (بالضم فالسكون) هي قرية بأدني بلقاء الشام، بينها وبين بيت المقدس مرحلتان.

النصارى، وقعت في جمادي الأولي سنة ٨ هـ .

وكان سببها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بُصْرَى، فعرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني - وكان عاملاً على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر - فأوثقه رباطـًا، ثم قدمه فضرب عنقه .

وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، يساوي بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشـًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل - وهو أكبر جيش إسلامي لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب - وأمّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»، وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة.

وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم، وقاتلوهم، وقال لهم: «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله، مَنْ كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانيـًا، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء**» .

وتحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل مَعَان، من أرض الشام، مما يلي الحجاز الشمالي، وحينئذ نقلت إليهم الاستخبارات بأن

هرقل نازل بمآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لَخْم وجُذَام وبَلْقَيْن وبَهْرَاء وبَلِي مائة ألف.

وحينئذ بعد أن قضى الجيش الإسلامي ليلتين في معان، تحركوا إلى أرض العدو، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها: (شَارِف) ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك، وتعبأوا للقتال، فجعلوا على ميمنتهم قُطْبَة بن قتادة العُذْرِي، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

**بداية القتال.. وتناوب القواد:**

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط[1] في رماح القوم، وخر صريعًا، وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها[2]، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه،

(١) شاط: قتل.

(٢) عقرها: قتلها.

فلم يزل رافعـًا إياها حتى قتل، ولما قتل جعفر بعد أن قاتل بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو على فرسه، ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعَرْق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نَهْسَة، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل . وحينئذ تقدم رجل من بني عَجْلان - اسمه ثابت بن أرقم - فأخذ الراية وقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل قتالاً مريراً. فقد روى البخاري عن خالد بن الوليد قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية[١]. وفي لفظ آخر: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية[٢].

وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم مؤتة - مخبراً بالوحي، قبل أن يأتي إلى الناس الخبر من ساحة القتال : «**أخذ الراية زيد فأصيب**[٣]، **ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٢ / ٦١١.

(٢) نفس المصدر، ٢ / ٦١١.

(٣) أصيب: قتل.

(٤) صحيح البخاري، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٢ / ٦١١.

ومع الشجاعة البالغة والبسالة والضراوة المريرتين، كان مستغربـًا جداً أن ينجح هذا الجيش الصغير في الصمود أمام تيارات ذلك البحر الغطمطم من جيوش الروم، ففي ذلك الوقت أظهر خالد بن الوليد مهارته في تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيه .

ثم أن خالد بن الوليد نجح في الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، في أول يوم من القتال، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية تلقي الرعب في قلوب الرومان حتى ينجح في الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة، فقد كان يعرف جيداً أن الإفلات من براثنهم صعب جداً لو انكشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة.

فلما أصبح اليوم الثاني غير أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته ساقه، وميمنته ميسرة، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا، وصار خالد - بعد أن التقى الجيشان، وتناوشا ساعة - يتأخر بالمسلمين قليلاً، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنـًا منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء .

وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر في القيام بمطاردة المسلمين ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة[1].

(١) فتح الباري: ٧/ ٥١٣، ٥١٤، زاد المعاد ٢/ ١٥٦، وتفصيل المعركة في هذين المصدرين.

**فتح مكة:**

قال ابن اسحاق: لما تظاهرت[١] بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا[٢] منهم ما أصابوا، ونقضوا عهدهم مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من العهد والميثاق خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة، فوقف عليه، وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال :

**يـــارب إني ناشـــد محمـــداً حلفنـا وحلـف أبيـه الأتلـدا[٣]**
**قـد كنـتم ولـداً وكنـا والـدا[٤] ثمـة أسـلمنا ولـم ننـزع يـدا**
**فانصـر هـداك الله نصـرا أعتـدا[٥] وادع عبـاد الله يـأتوا مـددا**
**إن قريشـًا أخلفـوك الموعـدا ونقضـوا ميثاقـك المؤكـدا**
**هـم بيتونـا بـالهجير هجـدا[٦] وقتلونـا ركعـًا وسـجداً**

فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : نصرت يا عمرو بن سالم.

ثم مضى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لسفره، ونزل مرّ الظهران[٧] في

---

(١) تظاهرت: اتفقت.

(٢) أصابوا: قتلوا.

(٣) الأتلدا: القديم، يشير إلى الحلف الذي كان بين خزاعة وبين بني هاشم منذ عهد عبدالمطلب.

(٤) والدا: يشير إلى أم عبد مناف – وهي حبى زوجة قصي – كانت من خزاعة.

(٥) أعتدا: قويـًا.

(٦) هجداً: نائمون.

(٧) مر الظهران: مكان قريب من مكة.

عشرة آلاف من المسلمين، وقد عميت الأخبار عن قريش، وخرج في تلك الليالي أبوسفيان بن حرب وغيره يتحسسون[١] الأخبار. يقول العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سمعت كلام أبي سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانـًا قط ولا عسكراً، فقال بديل بن ورقاء: هذه والله خزاعة حمشتها[٢] الحرب، فقال أبوسفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة[٣]، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟[٤] فقلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمي، قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس، والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز[٥] هذه البغلة، حتى آتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأستأمنه لك، فركب خلفي، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبوسفيان، عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، وركضت البغلة، ثم خرج يشتد[٦] فسبقته بما تسبق الدابة

(١) يتحسسون: يستمعون.

(٢) حمشتها: حمستها.

(٣) أبو حنظلة: هو أبوسفيان بن حرب.

(٤) أبو الفضل: هو العباس بن عبد المطلب.

(٥) عجز البغلة: أي مؤخرتها.

(٦) يشتد: يركض.

البطيئة الرجل البطيء، فدخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبوسفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني[١] فلأضرب عنقه، قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن[٢] لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي[٣]؛ ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئًا، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تشهد أني رسول الله، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه ففي النفس منها شيئًا، فقال له العباس: ويحك يا أبا سفيان[٤] أسلم، فأسلم، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن

---

(١) دعني: أتركني وإءذن لي.

(٢) ألم يأن: ألم يصر الوقت مناسبًا.

(٣) بأبي أنت وأمي: أفديك بأبي وأمي.

(٤) أسلم أبوسفيان بعد ذلك وحسن إسلامه، ويقال: أنه مارفع رأسه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلم حياء منه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبه وشهد له بالجنة، وقال: أرجو أن يكون خلفًا من حمزة، ولما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا عليّ فوالله ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت. زاد المعاد ٢ / ١٦٢، ١٦٣.

أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش، قد جاءكم محمد فيما لا قبل[١] لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، ولما نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعًا على راحلته، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا**»، فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي صنم إلا وقع. ثم قام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باب الكعبة فقال: يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها[٢] بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:** ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢]

(١) لا قبل لكم به: لا قدرة لكم عليه.

(٢) تعظمها: افتخارها.

«**اذهبوا فأنتم الطلقاء**[١]»[٢].

وأقام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمكة تسعة عشر يومًا يجدد معالم الإسلام، ويرشد الناس إلى الهدى والتقى، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم، وبعث سراياه للدعوة إلى الإسلام، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها، ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره . تلك هي غزوة فتح مكة، وهي المعركة الفاصلة والفتح الأعظم الذي قضى على كيان الوثنية قضاء باتـًا، لم يترك لبقائها مجالاً، ولا مبرراً في ربوع الجزيرة العربية.

**غزوة تبوك:**

في رجب من السنة التاسعة للهجرة أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة[٣] من الناس، وشدة من الحر، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ثم إن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جدّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز[٤] وحض أهل الغنى على النفقة والحملان[٥] في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى، وأنفق

---

(١) الطلقاء: الأحرار.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مقتطفات ٢/ ٣٨٩ – ٤١٧.

(٣) عسرة: ضيق وشدة.

(٤) الجهاز: الإستعداد للجهاد.

(٥) الحملان: أن يشتري الأغنياء الجمال للفقراء ليركبوا عليها.

عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، أنفق ألف دينار، وحمل ألف بعير، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض**». ثم استتب[١] برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفره وأجمع[٢] السير، وحين مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجر[٣] نزلها، واستقى الناس من بئرها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تشربوا من مائها، ولا تتوضؤا منه للصلاة، فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء. ولما انتهى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تبوك أتاه صاحب إيله «إيلات: أصلها كلمة عبرية وهي مدينة على ساحل خليج العقبة» فصالح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطاه الجزية. ورجع الجيش الإسلامي من تبوك مظفرين منصورين، بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة لم يجاوزه، لم ينالوا كيداً، وكفى الله المؤمنين القتال، وفي الطريق عند العقبة حاول اثنا عشر رجلاً من المنافقين الفتك بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أنه حينما كان يمر بتلك العقبة كان معه عمار يقود بزمام ناقته، وحذيفة ابن اليمان يسوقها، وأخذ الناس ببطن الوادي، فانتهز أولئك المنافقون هذه الفرصة . فبينما رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحباه

(١) استتب: تتابع واستمر.

(٢) أجمع السير: قرر.

(٣) الحجر: المكان الذي أهلك الله فيه قوم صالح.

يسيران إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوه[١] وهم ملثمون، فبعث حذيفة فضرب وجوه رواحلهم بمِحْجَن[٢] كان معه، فأرعبهم اللّه، فأسرعوا في الفرار حتى لحقوا بالقوم، وأخبر رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسمائهم، وبما هموا به، فلذلك كان حذيفة يسمى بصاحب سر رسول الله، وفي ذلك يقول اللّه تعالي: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤]. ولما لاحت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معالم المدينة من بعيد قال: «**هذه طَابَةُ، وهذا أُحُدٌ، جبل يحبنا ونحبه**»، وتسامع الناس بمقدمه، فخرج النساء والصبيان والولائد يقابلن الجيش بحفاوة بالغة. وكانت عودته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك ودخوله المدينة في رجب سنة ٩هـ، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يومـًا، أقام منها عشرين يومـًا في تبوك، والبواقي قضاها في الطريق جيئة وذهابًا، وكانت هذه الغزوة آخر غزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

❁ ❁ ❁

(١) غشوه: هجموا عليه.

(٢) المحجن: عصاة من خشب.

## الفصل الثاني:

## آخر عهده عليه الصلاة والسلام

**ويشتمل على:**

**المبحث الأول: عام الوفود وحجة الوداع.**

**المبحث الثاني: آخر البعوث ومرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته.**

## المبحث الأول:
## عام الوفود وحجة الوداع

**الوفود:**

الوفود التي سردها أهل المغازي يزيد عددها على سبعين وفداً، ولا يمكن لنا استقصاءها، وليس كبير فائدة في بسط تفاصيلها، وإنما نذكر منها إجمالاً ماله روعة أو أهمية في التاريخ، وليكن على ذكر من القارئ أن وفادة عامة القبائل وإن كانت بعد الفتح، ولكن هناك قبائل توافدت قبله أيضاً :

١ - **وفد عبد القيس**: كانت لهذه القبيلة وفادتان: الأولي سنة خمس من الهجرة أو قبل ذلك. كان رجل منهم يقال له مُنْقِذُ بن حيان، يَرِدُ المدينة بالتجارة، فلما جاء المدينة بتجارته بعد مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلم الإسلام أسلم، وذهب بكتاب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قومه فأسلموا، فتوافدوا إليه في شهر حرام في ثلاثة أو أربعة عشر رجلاً، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة، وكان كبيرهم الأشج العصري الذي قال فيه رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن فيك خصلتين يحبهما اللّه: الحلم والأناة**». والوفادة الثانية كانت في سنة الوفود، وكان عددهم فيها أربعين رجلاً، وكان فيهم الجارود بن العلاء العبدي، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ٣٣، فتح الباري ٨ / ٨٥، ٨٦.

٢ - **وفد دَوْس** : كانت وفادة هذه القبيلة في أوائل سنة سبع، ورسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، وقد قدمنا حديث إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي، وأنه أسلم ورسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ثم رجع إلى قومه، فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام، ويبطئون عليه حتى يئس منهم، ورجع إلى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطلب منه أن يدعو على دوس، فقال: «**اللهم اهد دوسـًا**». ثم أسلم هؤلاء، فوفد الطفيل بسبعين أو ثمانين بيتا من قومه إلى المدينة في أوائل سنة سبع، ورسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، فلحق به.

٣ - **رسول فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي** : كان فروة قائداً عربيـًا من قواد الرومان، عاملاً لهم على من يليهم من العرب، وكان منزله مَعَان وما حوله من أرض الشام، أسلم بعد ما رأي من جلاد المسلمين وشجاعتهم، وصدقهم اللقاء في معركة مؤتة سنة ٨ هـ، ولما أسلم بعث إلى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً بإسلامه، وأهدي له بغلة بيضاء، ولما علم الروم بإسلامه أخذوه فحبسوه، ثم خيروه بين الردة والموت، فاختار الموت على الردة، فصلبوه بفلسطين على ماء يقال له: عفراء، وضربوا عنقه[1].

٤ - **وفد صُدَاء**: جاء هذا الوفد عقب انصراف رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجِعْرَانة سنة ٨ هـ، وذلك أن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هيأ بعثـًا من أربعمائة من المسلمين، وأمرهم أن يطأوا ناحية من اليمن فيها صُدَاء، وبينما

(١) زاد المعاد ٣ / ٤٥، تفهيم القرآن ٢ / ١٦٩.

ذلك البعث معسكر بصَدْرِ قَنَاة علم به زياد بن الحارث الصدائي، فجاء إلى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: جئتك وافداً على مَنْ ورائي، فاردد الجيش وأنا لك بقومي، فرد الجيش من صدر قناة، وجاء الصدائي إلى قومه فرغبهم في القدوم على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقدم عليه خمسة عشر رجلاً منهم، وبايعوه على الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم، فدعوهم ففشا فيهم الإسلام، فوافي رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم مائة رجل في حجة الوداع.

٥- **قدوم كعب بن زهير بن أبي سلمى**: كان من بيت الشعراء، وأشعر العرب، وكان يهجو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما انصرف من الطائف سنة ٨هـ، كتب إليه أخوه بجير بن زهير أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يقتل أحداً جاء تائبًا وإلا فانج إلى نجاتك، فانطلق إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تائبًا مسلما.

٦- **وفد عذرة**: قدم هذا الوفد في صفر سنة ٩هـ، وهم اثنا عشر رجلاً فيهم حمزة بن النعمان.

٧- **وفد بلى**: قدم هذا الوفد في ربيع الأول سنة ٩هـ، وأسلم وأقام بالمدينة ثلاثًا.

٨- **وفد ثقيف**: كانت وفادتهم في رمضان سنة ٩هـ، بعد مرجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك.

**٩- وفد رسالة ملوك اليمن:** قدم بعد رجوع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك، وهم الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، وغيرهم.

**١٠ - وفد همدان:** قدموا سنة ٩هـ، بعد مرجعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك، فكتب لهم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك بن النمط.

**١١ - وفد بني فزارة:** قدموا سنة ٩هـ، بعد مرجعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك، قدم في بضعة عشر رجلاً جاءوا مقرين بالإسلام، وشكوا جدب بلادهم، فصعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر، فرفع يديه واستسقى[(١)].

**١٢ - وفد نجران**[(٢)]: كانت وفادة أهل نجران سنة ٩هـ، وقوام الوفد ستون رجلاً، منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران.

**١٣- وفد بني حنيفة:** كانت وفادتهم سنة ٩هـ، وكانوا سبعة عشر رجلاً، جاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلموا.

**١٤ - وفد بني عامر بن صعصعة:**

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٤٨.

(٢) نجران: بفتح النون وسكون الجيم، هي إحدى المناطق الثلاثة عشر للمملكة العربية السعودية، وتقع في جنوب غرب المملكة على الحدود مع اليمن، تشتهر بالزراعة وكثرة النخيل، بها أكبر سدود المملكة، وبها أثار المنقطة الأخدودية، واشتهرت بكثرة النقوش والآثار.

**١٥ - وفد تجيب**: قدم هذا الوفد بصدقات قومه مما فضل عن فقرائهم، وكان الوفد ثلاثة عشر رجلاً، كانوا يسألون عن القرآن والسنن يتعلمونها، والتقى هذا الوفد بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة أخرى في حجة الوداع سنة ١٠هـ.

**١٦- وفد طيء**: قدم هذا الوفد وفيهم زيد الخيل، فلما كلموا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرض عليهم الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، وسمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد الخيل بزيد الخير.

وهكذا تتابعت الوفود إلى المدينة في سنتي تسع، وعشر، وقد تأخرت وفادة بعضهم إلى سنة ١١هـ. وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان[1].

**حجة الوداع:**

تمت أعمال الدعوة، وإبلاغ الرسالة، وبناء مجتمع جديد على أساس إثبات الألوهية للّه، ونفيها عن غيره، وعلى أساس رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكأن هاتفاً خفياً انبعث في قلب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشعره أن مقامه في الدنيا قد أوشك على النهاية، حتى إنه حين بعث معاذا على اليمن سنة ١٠هـ قال له - فيما قال: «**يا معاذ، إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**»، فبكي معاذا خشعاً لفراق رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٥٩، ٥٦٠.

وشاء اللّه أن يرى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمار دعوته، التي عاني في سبيلها ألوانًا من المتاعب بضعًا وعشرين عامًا، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدي الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

أعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصده لهذه الحجة المبرورة المشهودة، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

وفي يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة تهيأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرحيل[(٢)]، فتَرَجَّل وادَّهَنَ ولبس إزاره ورداءه وقَلَّد بُدْنَه، وانطلق بعد الظهر، حتى بلغ ذا الحُلَيْفَة قبل أن يصلي العصر، فصلاها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح، فلما أصبح قال لأصحابه: «**أتاني الليلة آت من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة**»[(٣)].

وقبل أن يصلي الظهر اغتسل لإحرامه، ثم طيبته عائشة بيدها بذَرِيرَة وطيب فيه مِسْك، في بدنه ورأسه، حتى كان وبَيِصُ الطيب يرى في مفارقه ولحيته، ثم استدامه ولم يغسله، ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، ثم

---

(١) روى ذلك مسلم عن جابر، باب حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١ / ٣٩٤.

(٢) حقق ذلك ابن حجر تحقيقًا أنيقًا مع تصحيح ما ورد من أنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة، انظر فتح الباري٨/ ١٠٤.

(٣) رواه البخاري عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١ / ٢٠٧.

أهل بالحج والعمرة في مُصَلاَّه، وقَرَن بينهما، ثم خرج، فركب القَصْوَاءَ، فأَهَلَّ أيضـًا، ثم أَهَلَّ لما استقلت به على البَيْدَاء. ثم واصل سيره حتى قرب من مكة، فبات بذي طُوَى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة ١٠هـ - وقد قضى في الطريق ثماني ليال، وهي المسافة الوسطي - فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يَحِلَّ؛ لأنه كان قارنـًا قد ساق معه الهدي، فنزل بأعلى مكة عند الحَجُون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج. وأمر من لم يكن معه هَدْي من أصحابه أن يجعلوا إحرامهم عمرة، فيطوفوا بالبيت وبين الصفا المروة، ثم يحلوا حلالاً تامـًا، فترددوا، فقال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت**»، فحل من لم يكن معه هدي، وسمعوا وأطاعوا.

ثم مضى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حجه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**أيها الناس، اسمعوا قولي لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها....**»[1].

(١) ابن هشام: ٢ / ٦٠٣.

لما قضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناسكه حث الركاب إلى المدينة، لا ليأخذ حظاً من الراحة، بل ليستأنف الكفاح والكدح لله، وفي سبيل الله[١].

فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحج بعدها.

❁ ❁ ❁

(١) انظر لتفصيل حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحيح البخاري كتاب المناسك ج١ و ٢ / ٦٣١، وصحيح مسلم باب حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفتح الباري ج٣ من شرح كتاب المناسك وج٨ / ١٠٣ إلى ١١٠، وابن هشام ٢ / ٦٠١ إلى ٦٠٥، وزاد المعاد ١/ ١٩٦، ٢١٨ إلى ٢٤٠.

## المبحث الثاني:
## آخر البعوث ومرضه ووفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

### آخر البعوث:

كانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى حق الحياة على من آمن بالله ورسوله، وحملها على أن تقتل من أتباعها من يدخل في الإسلام، كما فعلت بفَرْوَة بن عمرو الجُذَامِي، الذي كان واليـًا على مَعَان من قبل الروم.

ونظراً إلى هذه الجراءة والغطرسة، أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجهز جيشـًا كبيراً في صفر سنة ١١هـ، وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطئ الخيل تُخُوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يبغي بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود، حتى لا يحسبن أحد أن بطش الكنيسة لا معقب له، وأن الدخول في الإسلام يجر على أصحابه الحتوف فحسب .

وتكلم الناس في قائد الجيش لحداثة سنه، واستبطأوا في بعثه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله، إن كان لخليقـًا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، و إن هذا من أحب الناس إلي بعده**»[1].

---

(١) صحيح البخاري، باب بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة ٢ / ٦١٢.

وانتدب الناس يلتفون حول أسامة، وينتظمون في جيشة، حتى خرجوا ونزلوا الجُرْف، على فَرْسَخ من المدينة، إلا أن الأخبار المقلقة عن مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألزمتهم التريث، حتى يعرفوا ما يقضي الله به، وقد قضي الله أن يكون هذا أول بعث ينفذ في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

**مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته:**

**أيام مرضه الأولى**: لما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتتضح بعباراته وأفعاله .

إنه اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يومـًا، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين، وقال في حجة الوداع: «**إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً**»، وقال وهو عند جمرة العقبة: «**خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا**»، وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع وأنه نعيت إليه نفسه .

وفي أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أحد، فصلى[٢] على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال:

---

(١) المصدر السابق، وابن هشام ٢ / ٦٠٦، ٦٥٠.

(٢) صلى: استغفر ودعا.

«**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**»[١].

وخرج ليلة - في منتصفها - إلى البَقِيع، فاستغفر لهم، وقال: «**السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنَ لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، والآخرة شر من الأولى**»، وبشرهم قائلاً: «**إنا بكم للاحقون**».

وفي اليوم الثامن أو التاسع والعشرين من شهر صفر سنة١١هـ - وكان يوم الاثنين - شهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سَوْرَتَها فوق العِصَابة التي تعصب بها رأسه.

وقد صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس وهو مريض ١١ يومـًا، وجميع أيام المرض كانت ١٣، أو ١٤ يومـًا . ثم ثقل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرض، فجعل يسأل أزواجه: «**أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟**» ففهمن مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يمشي بين الفضل بن عباس وعلى بن أبي طالب، عاصبا[٢] رأسه، تخط قدماه حتى

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري ٢ / ٥٨٥.

(٢) عاصبـًا: رابطـًا.

دخل بيتها، فقضي عندها آخر أسبوع من حياته .

وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التي حفظتها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت تنفث على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة .

وفي يوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة في بدنه، فاشتد به الوجع وغمى، فقال: «**هريقوا علي سبع قِرَب من آبار شتي، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم**» ، فأقعدوه في مِخَضَبٍ، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول: «**حسبكم، حسبكم**» .

وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد متعطفاً ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة حتى جلس على المنبر، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثني عليه، ثم قال: «**أيها الناس، إلي**»، فثابوا إليه، فقال - فيما قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وفي رواية: «**قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)] - وقال: «**لا تتخذوا قبري وثناً يعبد**»[(٢)] .

وعرض نفسه للقصاص قائلاً: «**من كنت جلدت له ظَهْرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عِرْضاً فهذا عرضي فليستقد منه**».

ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولى

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٦٢، موطأ الإمام مالك ص٣٦٠.

(٢) موطأ الإمام مالك ص٦٥.

في الشحناء وغيرها. فقال رجل: إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: «**أعطه يا فضل**»، ثم أوصى بالأنصار قائلاً: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كِرْشِي وعَيْبَتِي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحْسِنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»، وفي رواية أنه قال: «**إن الناس يكثرون، وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم**»[(١)].

ثم قال: «**إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**». قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فبكي أبو بكر ، قال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا[(٢)]. ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أمنّ الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لا تخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر**»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٥٣٦.

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام قال: وقد اشتد به الوجع: «**هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده**» - وفي البيت رجال فيهم عمر - فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**قوموا عني**»[١].

وأوصى ذلك اليوم بثلاث: أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، أما الثالثة فنسيه الراوي. ولعله الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة، أو تنفيذ جيش أسامة، أو هي: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**». والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات عرفًا[٢]، وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد. قالت عائشة: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أصَلَّى الناس؟**» قلنا: لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك. قال: «**ضعوا لي ماء في المِخْضَب**»، ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي

(١) رواه البخاري عن أم الفضل، باب مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢ / ٦٣٧.

(٢) متفق عليه

عليه. ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**»، ووقع ثانياً وثالثاً ما وقع في المرة الأولي من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء، فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام[١] (١٧) صلاة في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي صلاة العشاء من يوم الخميس، وصلاة الفجر من يوم الإثنين، وخمس عشرة صلاة فيما بينها.

وراجعت عائشة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث أو أربع مرات؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشاءم به الناس، فأبى وقال: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**».

قال جابر: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل موته بثلاث وهو يقول: «**ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله**».

وفي يوم السبت أو الأحد وجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه بألا يتأخر، قال: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسمع الناس التكبير[٢].

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٩٩.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٩٨، ٩٩.

الليل أرسلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمصباحها امرأة من النساء وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عُكَّتِك السمن، وكانت درعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير .

**آخر يوم من حياته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى أنس بن مالك: أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين - وأبو بكر يصلي بهم - لم يفجأهم إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فَرَحًا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشار إليهم بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[١].

ثم لم يأت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت صلاة أخرى.

ولما ارتفع الضحى، دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة فسَارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشيء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك - أي فيما بعد - فقالت: سارني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت[٢].

---

(١) صحيح البخاري، باب مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢ / ٦٤٠.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٦٣٨.

وبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين[١].

ورأت فاطمة ما برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكرب الشديد الذي يتغشاه. فقالت: واكرب أباه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[٢]. ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيراً، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتى كان يقول: «**يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام[٣] الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَرِي من ذلك السم**»[٤].

وقد طرح خَمِيصَة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك - وكان هذا آخر ما تكلم وأوصى به الناس: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا - لا يبقين دينان بأرض العرب**».

---

(١) وتذكر بعض الروايات أن هذا الحوار والبشارة لم يكن في آخر يوم من حياته، بل في آخر اسبوع. رحمة للعالمين ١ / ٢٨٢.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٦٤١.

(٣) يقصد بذلك الشاة المسمومة التي قدمت له بخيبر، وأكل منها فلم تضره في ذلك الوقت، واستمر الداء كامناً حتى ظهر في هذه الأيام، وقد مات أحد أصحابه لما أكل منها، والأبهر: عرق في الإنسان إذا انقطع هلك صاحبه.

(٤) صحيح البخاري ٢ / ٦٣٧.

وأوصى الناس فقال: «**الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»، كرر ذلك مراراً[١].

وبدأ الاختصار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول : إن من نعم الله علي أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْرِي ونَحْرِي[٢]، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.

دخل عبد الرحمن - بن أبي بكر - وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم.

فتناولته فاشتد عليه، وقلت : ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم . فلينته، فأمره - وفي رواية أنه استن[٣] به كأحسن ما كان مستنا - وبين يديه رَكْوَة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه، يقول : «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات...**» الحديث[٤].

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : «**مع الذين**

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ٦٣٧.

(٢) أي و رأسه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين ثغرة نحرها وهو سحرها، ونهاية حلقها وهي منتهى الذقن.

(٣) استن: تسوك.

(٤) صحيح البخاري، باب مرض النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ٢ / ٦٤٠.

**أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**[(١)] **اللهم الرفيق الأعلى**»[(٢)].

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثـًا، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها .

قال أنس: ما رأيت يومـًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)] .

**تجهيزه وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض:**

وفي يوم الثلاثاء غسلوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير أن يجردوه من ثيابه، وكان القائمون بالغسل:

العباس وعليّا، والفضل وقُثَم ابني العباس، وشُقْرَان مولي رسول الله

---

(١) الرفيق الأعلى: أي الله سبحانه وتعالى.

(٢) صحيح البخاري، باب مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباب ما تكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢ / ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١.

(٣) رواه الدارمي.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسامة بن زيد، وأوس بن خَوْلي، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره.

وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدْر، وغسل من بئر يقال لها: الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُبَاء وكان يشرب منها .

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِيَّة[١] من الكُرْسُف[٢]، ليس فيها قميص ولا عمامة[٣]، أدرجوه فيها إدراجًا[٤].

واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما قبض**[٥] **نبي إلا دفن حيث يقبض**»، فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً.

ودخل الناس الحجرة أرسالاً، عشرة فعشرة، يصلون على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفذاذاً، لا يؤمهم[٦] أحد وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم النساء، ثم الصبيان.

---

(١) سحولية: سحول، هي بلدة في اليمن.

(٢) من الكرسف: من القطن.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري ١ / ١٦٩، صحيح مسلم ١ / ٣٠٦.

(٤) أدرجوه فيها إدراجـًا: أي دون أن يخلعوا ما كان عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثياب.

(٥) قبض: توفي.

(٦) يؤمهم: يصلي بهم إمامـًا.

ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملاً، ومعظم ليلة الأربعاء، قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول اللّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى سمعنا صوت المسَاحِي من جوف الليل - وفي رواية : من آخر الليل - ليلة الأربعاء[1].

❁ ❁ ❁

(١) مختصر سيرة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للشيخ عبدالله النجدي ص ٤٧١، وتفصيل قصة لحوقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى في: صحيح البخاري باب مرض صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعدة أبواب بعده مع فتح الباري وصحيح مسلم ومشكاة المصابيح، باب وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وابن هشام ٢ / ٦٤٩ إلى ٦٦٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص٣٨،٣٩، ورحمة للعالمين ١ / ٢٧٧ إلى ٢٨٦.

## الخاتمة

وفي الختام لقد انتهيت - ولله الحمد والمنة - من إعداد هذا «الكتاب المختصر» والذي قضيت فيه الكثير من وقتي، والواسع من جهدي، وقد تحدثت فيه عن سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن حياته في مكة قبل النبوة والرسالة، وعن الأعمال التي قام بها في مكة من أعمال اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكذلك عن حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما بشر بالرسالة، وأرسل إلى الناس كافة، وما لاقاه من كفار قريش، ومن بعض القبائل المجاورة لمكة في سبيل الدعوة إلى الله، وهجرة أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحبشة بعد ما لاقوه من صنوف العذاب والاضطهادات من كفار قريش، وبيعتا العقبة في مكة، ثم بعد ذلك تحدثت عن حياته بعد هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام فيها، وكذلك غزواته ومعاركه مع قريش واليهود والقبائل المعادية لدعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف أن الحق انتصر على الباطل، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، ثم عن آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أكمل رسالته الجليلة، وبلغ أمانته العظيمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، لما انتقل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى، وإنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، كما قال ذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جزاه الله خيراً عن

أمته، خير ما يجزي نبي عن أمته، فقد أخرجها من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وقد استفدت من هذا البحث عظيم فائدة، وذلك لما قمت به من إطلاعٍ على كثير من المصادر والمراجع المفيدة، وأنصح إخواني وزملائي وجميع من اطلع على هذا البحث الرجوع إلى كتب السيرة، وقراءة التاريخ، وقد قال الشاعر:

**إقــرؤا التــاريخ إذ فيــه العبــر ظــل قــوم لــيس يــدرون الخبــر**

فالتاريخ فيه عبر ودروس عظيمة لا يعلمها إلا خالق الأرض والسماء، والحمد لله الذي وفقني وأعانني على إعداد هذا الكتاب المختصر المتواضع، والسيرة النبوية - كما نعلم جميعًا - لا يوفّى حقها بوريقات معدودة، ولا صفحات قليلة، لكن نسأل الله العلي القدير أن يبارك في جهد كل ذي جهد وينفع بجهده، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عنّا ما كان من خطأ أو نسيان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

## المصادر والمراجع الأساسية

١. القرآن الكريم
٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ) ٤ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر القاهرة، بدون تاريخ.
٣. الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي محمد (ت٨٥٢هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر القاهرة.
٤. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للعسقلاني، أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة القيومي بالهند عام ١٣٢٣هـ.
٥. تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب مصر.
٦. تفهيم القرآن، السيد أبو الأعلى المودودي، مكتبة جماعة إسلامي الهند.
٧. تاريخ إسلام للشاة آبادي.
٨. جوامع السيرة، لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (ت٤٥٦هـ) طبعة دار المعارف مصر.
٩. دلائل النبوة، للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ، توزيع دار الباز مكة المكرمة، طبع بمصر عام ١٣٩٧هـ.

١٠. الرحيق المختوم، للمباركفوري، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، مؤسسة منتدى الثقافة، بيروت لبنان.

١١. رحمة للعالمين، المنصور قوزي، محمد سليمان سلمان المنصور قوزي، ١٩٣٠م.

١٢. الروض الأنف، السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

١٣. زاد المعاد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٥هـ.

١٤. سنن الترمذي، الترمذي أبو عيسى محمد عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

١٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، بيت الأفكار الدولة، بدون ت.

١٦. السيرة لابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت ١٥١هـ) تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٧. السيرة النبوية لابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام (١٨٣هـ) ٤ مجلدات تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شبلي، مطبعة مصطفى البابي ١٣٧٥هـ.

١٨. السيرة الحلبية، ابن برهان الدين.

١٩. شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر بيروت لبنان.

٢٠. صحيح البخاري، للبخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ) دار ابن رجب ١٤٢٥هـ.

٢١. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١هـ) دار ابن رجب ١٤٢٢هـ.

٢٢. صفة جزيرة العرب، للهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي، مكتبة الارشاد صنعاء الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للبخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) المطبعة السلفية نشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد.

٢٤. فقه السيرة، للغزالي محمد، نشر دار القلم دمشق ١٤٠٧هـ الطبعة الثالثة.

٢٥. قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٦. موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٤٠٦هـ.

٢٧. مستدرك الحاكم، للنيسابوري، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ) دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٨. مختصر سيرة الرسول، للنجدي.
٢٩. المغازي، لابن هشام، أبو محمد جمال الدين المؤرخ عالم الأنساب عبدالملك ابن هشام بن ايوب الحميري المعافري، تحقيق طه عبدالرؤوف، بيروت ١٩٨٥م.
٣٠. الموسوعة الحرة ـ ويكيبيديا.

## فهرس الموضوعات

**الموضوع** **الصفحة**

**شكر وعرفان** ..... **٣**

**الإهداء** ..... **٤**

**المقدمة** ..... **٨**

**الباب الأول: العهد المكي** ..... **١٣**

**الفصل الأول: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الرسالة والنبوة** ..... **١٣**

**المبحث الأول: نسبه وأسرته ومولده ورضاعه** ..... **١٥**

نسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ١٥

أسرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ١٧

مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ١٨

رضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورعايته: ..... ٢٠

شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ٢١

**المبحث الثاني: الأعمال التي مارسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة** ..... **٢٣**

**الفصل الثاني: في ظلال النبوة والرسالة** ..... **٢٩**

**المبحث الأول: نزول الوحي وبدأ الدعوة** ..... **٣١**

**المبحث الثاني: الهجرة من مكة وبيعتا العقبة** ..... **٣٧**

الهجرة من مكة: ..... ٣٧

عام الحزن: ..... ٤٤
زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ..... ٤٨
الإسراء والمعراج: ..... ٥١
بيعتا العقبة: ..... ٥٣
بيعة العقبة الثانية: ..... ٥٥
**الباب الثاني: العهد المدني ..... ٥٩**
**الفصل الأول: الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام ..... ٥٩**
**المبحث الأول: هجرته إلى المدينة وبناء المسجد النبوي ..... ٦١**
هجرته إلى المدينة: ..... ٦١
تطويق منزل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ٦٤
من الدار إلى الغار: ..... ٦٦
في الطريق إلى المدينة: ..... ٦٧
بناء المسجد النبوي: ..... ٧٣
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: ..... ٧٥
**المبحث الثاني: غزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاء اليهود من المدينة ..... ٧٨**
المعاهدة مع اليهود: ..... ٧٨
استفزازات قريش واتصالهم بعبد الله بن أبي بن سلول: ..... ٧٨
قريش تهدد المهاجرين: ..... ٨٠

الإذن بالقتال: ..... ٨٢
سرية سيف البحر: ..... ٨٣
سرية رابغ: ..... ٨٤
سرية الخرار: ..... ٨٥
غزة الأبواء أو ودان: ..... ٨٥
غزوة بدر الكبرى: ..... ٨٦
غزوة بني قينقاع وإجلاء اليهود من المدينة: ..... ٨٩
غزوة السَّوِيق: ..... ٩٣
غزوة ذي أمر: ..... ٩٤
غزوة بَحْران: ..... ٩٥
سرية زيد بن حارثة: ..... ٩٦
غزوة أحد: ..... ٩٨
غلطة الرماة: ..... ١٠٥
أحرج ساعة في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ..... ١٠٩
مقتل أبي بن خلف: ..... ١١٣
التثبت من موقف المشركين: ..... ١١٥
غزوة حمراء الأسد: ..... ١١٦
السرايا والبعوث بين أحد والأحزاب: ..... ١١٩

غزوة الخندق (الأحزاب): ..... ١٢٢
غزوة بني قريظة: ..... ١٢٦
غزوة بني لَحْيَان: ..... ١٢٩
غزوة بني المُصطلق أو غزوة المريسيع: ..... ١٣٠
صلح الحديبية: ..... ١٣١
فتح خيبر: ..... ١٣٤
غزوة مؤتة: ..... ١٣٤
بداية القتال.. وتناوب القواد: ..... ١٣٦
فتح مكة: ..... ١٣٩
غزوة تبوك: ..... ١٤٣
**الفصل الثاني: آخر عهده عليه الصلاة والسلام ..... ١٤٧**
**المبحث الأول: عام الوفود وحجة الوداع ..... ١٤٩**
الوفود: ..... ١٤٩
حجة الوداع: ..... ١٥٣
**المبحث الثاني: آخر البعوث ومرضه ووفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... ١٥٧**
آخر البعوث: ..... ١٥٧
مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته: ..... ١٥٨
آخر يوم من حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ..... ١٦٤

تجهيزه وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض: ..... ١٦٧
**الخاتمة** ..... **١٧٠**
**المصادر والمراجع الأساسية** ..... **١٧٢**
**فهرس الموضوعات** ..... **١٧٦**